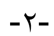
قبسات من التراث الشعبي

الجزء الثاني



قبسات من التراث الشعبي

في جبل العرب -٢-

روايات - معارك - قصائد

حسن القيسي نصر

/قبسات من التراث الشعبي "روايات ـ معارك ـ قصائد" (الجزء الثاني)/
إعداد ودراسة: حسن القيسي نصر

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

عدد النسخ:١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: فادي كيوان.

تصميم الغلاف: فيصل حفيان.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

المقدمة

لقد قيل إن التاريخ مرآة الشعوب. وأظن أن الأصح أن يقال: التراث مرآة الشعوب لأن التراث أوسع وأشمل، تظهر فيه أفكار الشعوب وتاريخها ونشاطاتها الفنية والصناعية والزراعية والاقتصادية وحتى العاطفية التي يتجلى فيها الإبداع بالصور والشعر والنثر، والغناء والموسيقى. فالتراث يعكس مختلف أوجه النشاط الفكري والعاطفي والمادي لأي شعب من الشعوب لأن الكلمة والقصيدة والمعركة والصورة والتمثال، والمؤتمر والبيان كلها أنشطة إنسانية تعكس الفكر والحضارة بأوسع معانيها لأي مجتمع على سطح هذا الكوكب والمجتمع الذي ليس له تراث ليس له تاريخ ولا مستقبل.

لأن التراث يمد الشعب بالقوة والإرادة والعزم، العناصر الضرورية لصنع الحضارة والتاريخ وارتقاء مدارج المجد والسؤدد بين شعوب الأرض والتجمعات الإنسانية..!

عندما بدأت الاهتمام بتراث هذا الجبل بدأت بقراءة ورواية القصائد الشعبية ووصف المعارك والمؤتمرات والاجتماعات والبيانات والمقررات، فتجمع في أوراقي تاريخ عظيم حافل بالشجاعة والبطولة والمآثر العربية، اقتطفت منه هذه الباقة من الحكايات والمعارك والقصائد لتكون باكورة تجاربي في الكتابة والنشر، عسى أن يجد فيها القراء ما يرضي أذواقهم في بعض ما تركه لنا جيل السلف من أقوال ومآثر وما خاضوه من معارك التحرير والاستقلال.

وقد نظمت المواضيع في بابين الأول تحت عنوان ـ مآثر عربية ـ وفيه بعض الروايات التاريخية والحكايات والمعارك مع القصائد التي قيلت والثاني تحت عنوان قصائد لها تاريخ، وهي ذات أهمية اجتماعية وانتشار واسع - وقد أسهبت في توصيف المعارك على لسان روادها والذين خاضوا غمارها لاعتقادي أن هؤلاء خير من شاهد ووصف من قلب المعركة ليجد القارئ والباحث صوراً حية واقعية صادقة إلى جانب وصف الشعراء والكتاب والمؤرخين.

وقد راعيت التسلسل التاريخي للمواضيع وحتى القصائد ـ لتكون المواضيع أكثر ارتباطاً بالمجتمع والحياة والفكر الذي انبعث منه.

وقد حاولت تبسيط اللغة قدر الإمكان، وشرحت التعابير والمفردات الواردة بالقصائد الشعبية ليسهل فهمها وقراءتها، آملاً أن أسدي في عملي خدمة للمجتمع وجيل الأبناء أينما وجدوا والله من وراء القصد.

حسن

* * * * *

الباب الأول

مـآثـر عـربيــة



العطفة[1] ١٨٥٧

رواية تاريخية جرت حوادثها بعد منتصف القرن التاسع عشر عندما جردت السلطة العثمانية الحملات المتكررة لفرض هيمنتها الكاملة على البلدان العربية ١٨٥٧ م.

الفصل الأول

الخطيبة

فرحة المذيب فتاة قروية في ربيعها السادس عشر تشمخ بقدها الفارع وجمالها الفتان، تسير في الطريق بزهو وافتخار تتبعها الأنظار كأنها ملاك هبط من السماء، يتهادى على طرقات البشر.

أحبت فرحة خطيبها المزيون عمار الأحمد، حباً يقرب من الجنون كما أحبها هو كذلك، وقد ساقته السلطة التركية إلى الجندية الإجبارية ليخدم في جيش السلطان دون ان تراعي ظروفه كوحيد لوالديه ودون ان تمهله ليزف خطيبته، حبيبة الروح الوحيدة بحياته. وطالما هرب عمار من المعسكر ليلاقي خطيبته في البيت، في الحقل، في الطرقات، تحت ضوء القمر... يتبادلان نظرات المتيمين، يتبادلان أحاديث العشاق... وكم تنهد كل منهما عند الفراق متمنياً أن يبقى ملازماً أحدهما للآخر ولو في آتون الاحتراق... وفي كل مأذونية يهرول عمار مسرعاً إلى خطيبته يشكو حرارة الحرمان ويبثها لواعج الشوق والحنين حتى ينسى نفسه طوال النهار بدون طعام لولا أنها كانت تجهز له ما لذ وطاب من الطعام والشراب الذي كان يلتهمه دون أن يشعر بهيامه عند اللقاء بفتنتها وجمالها الذي تغنى فيه الكثير من الشعراء وكأن الشاعر نعمه العاقل كان يقصدها عندما أنشد وقال:

---

(١) العطفة: فتاة الهودج: فتاة جميلة تطل من خدر مزركش على جمل مزين تشجع الفرسان في القتال.

لــــد فرحــــة بتـــشابيب الـــشروخي	بـــالعمر مـــا جـــاوزت طعـــشر ربيعـــا[1]
كأنهـــا اليعفـــور تنـــدس مـــا تـــدوخي	نـــافراً مـــن طـــور حـــواف مريعـــة[2]
غـصن صـندل صـنع سمهـر حـين يلـزم	مايطـــا جيلانهـــا رجـــل زهـــوف[3]
معنبـــات صـــباعها مـــن دون عنـــدم	والثنايـــا بـــرق والمـــاطر ظـــروف[4]
أحـــداقها ورموشـــها خرطـــوش دم دم	يـــا عـــذاب صـــبي طـــراد يحـــوف[5]

الفصل الثاني

حملات الحرب

كانت الدولة العثمانية تحتل البلاد الشامية وبعد خروج إبراهيم باشا المصري منها. أخذت تثير الفتن بين الطوائف لبسط سلطانها وتوطيد هيمنتها باتباع سياسة فرق تسد..

وقد رفض أبناء الجبل السيطرة العثمانية عليهم وكانوا يستعذبون الموت في سبيل حريتهم واستقلالهم، فرفضوا دفع الضرائب وتسليم أسلحتهم للسلطة كما رفضوا الجندية الإجبارية للدفاع عن تاج السلطان واستقبلوا الوطنيين الأحرار

---

(١) لدّ: أنظر ـ بتشابيب الشروخي: بريعان الشباب ـ طعشر ربيعا : بين الحادية عشرة والعشرين.

(٢) اليعفور: الغزال ـ تندس: تقفز تدوخ: تصاب بالدوار.

(٣) الصندل: شجر أغصانه طويلة مستقيمة ـ سمهر: صانع عصي الرماح ـ مايطا : ما يعلي ـ جيلانها: صدرها. الجيلية، الصدرية ـ زهوف: وضيع متخنث.

(٤) معنبات صباعها: رؤو س الأصابع بلون حبات العنب ـ العندم: صبغة بلون النهدي ـ والثنايا برق: الأسنان بيضاء تلمع كالبرق ـ الماطر: الدموع ـ ظروف: غزيرة كأنها تنصب من الظرف.

(٥) الأحداق: جمع حدقة وهي الفتحة التي يمر منها الضوء لداخل العين ـ خرطوش دم دم: طلقات بندقية يتوهج رصاصها بالظلام باللون الأحمر ـ الطراد: المطارد ـ يحوفه: يلاحقة.

المناوئين للسلطة وبطشها، لكل هذا قرر السلطان مهاجمة الجبل وإخضاعه لاسطنبول مهما كلف الثمن..

سار والي دمشق محمد قبرصي بجيش كبير لإخضاع الجبل، فاجأه الثوار عندما وصل إلى ازرع غرب الجبل بقتال دام عدة ساعات انتهى بهزيمة منكرة للجيش بمعركة حامية عرفت بموقعة "ساري عسكر"، ثم تكررت الحملات بعد ذلك وتكررت هزائم الجيش وتكرر نفير الحرب لأن السلطان لم يقنع بالهزائم وبقي مصمماً على إخضاع الجبل مهما بلغت التضحيات..!!

بينما عمار مع حبيبته في جلسة هناء دق نفير الحرب نفير التعبئة فترك الحبيبة الغالية وهرول ملتحقاً بفرقته إلى الحرب الغاشمة، الحرب الظالمة ضد أبناء الوطن ضد حبيبة الروح التي ينفطر قلبها وينشف دمها شوقاً وخوفاً على حبيبها حتى يعود إليها..!!

تتكرر المهاجمات وتتكرر المأساة وكم تمنت فرحة أن تكون بجانب حبيبها في بذلته العسكرية علها ترد عنه الرصاص أو ضربات السيوف والخناجر ليعود إليها سالماً.

إنه فتى الأحلام الوحيد حبيب العمر وأمل الحياة بأسرها..!!

في صباح هادئ جميل الحبيبان في جلسة سمر ممتعة، يدق البوق معلناً نفير الحرب فيقفز عمار ليلبي النداء ويلتحق بفرقته، بينما فرحة تتمسك به وهي تصيح: لن تذهب ..! لن تذهب..! لا أتركك تفلت من يدي لتذهب إلى الموت..!! مستحيل.. مستحيل..!!

لكن عمار وهو الشجاع المقدام، يأبى التخاذل، ولا يرضى أن يقول عنه رفاق السلاح " خاف من الحرب، تقاعس، جبان..!" لذلك يحاول الإفلات فأسرعت فرحة تسكر الأبواب، تخفي المفاتيح وتضغط على حبيبها ليبقى سجينها في الغرفة....

لم يلتحق عمار بفرقته، إنه متخلف، إنه سجين الخطيبة يقول أحد زملائه. تطوق الشرطة العسكرية بيت فرحة التي تحاول إخفاء حبيبها بالفرش، بالشراشف، بمختلف الأغطية. لكن عمار يقفز عند سماع أول صوت يدوي من

رفاقه ليرد عليهم بصوت مرتفع قائلاً: إنني قادم إليكم، ثم يقفز من النافذة وفرحة تتمسك بثيابه لا تتركه..!! لا تنفصل عنه، فيساقان معاً تحت الحفظ للمثول أمام القائد الذي استشاط غضباً لبادرة الهرب من الجندية التي نفذها عمار اليوم.

وبينما القائد جميل باشا في مكتبة يذرع الأرض ذهاباً وإياباً بخطوات قوية وأنفاس لاهثة، يرغي ويزبد، يتطاير الشرر من عينيه، يهدد، يشتم، يضرب الأرض برجليه كأنه أصيب بالجنون...

دخل عمار إلى المكتب تتمسك به فرحة، الملاك الساحر تشد على ذراعه كأنها سترافقه حتى الموت.

يفاجأ القائد بدخول الفتاة الرقيقة الناعمة إلى مكتبة، فيطفح وجهة بالبشر ثم يطلب الشاي ويجلس إلى جانب الخطيبين بعد ان يصرف الجنود، ويبدأ معهما حديثاً ودياً، يبرر فيه غايته من إرسال الجنود بأنها لم تكن إحضار عمار تحت الحفظ وإنما عدم فتح باب التسرب والهرب من الجندية بجيش السلطان، وقد برهن على صحة قوله بمنح عمار فوراً عشرة أيام مأذونية، يقضيها مع خطيبته دون إزعاج أو ملاحقة.

الفصل الثالث

فرحة إلى الهودج[1]

طالما اشتكى قادة الفرق من الجيش التركي من هرب جنودهم مشتتين في عدة معارك أمام هجمات أبناء الجبل وصيحاتهم المرعبة، خاصة عندما يحتدم القتال بالسلاح الأبيض، لذلك اقترحوا على القائد أن يشد لهم عطفة تشجع المحاربين وتساعدهم على الصمود في ساحة المعركة كما كانت العادة في حروب أكثر القبائل في القرون الوسطى...!

مجرد وقوع نظر القائد على فرحة وفتنتها قفزت لذهنه الصورة المناسبة لفتاة العطفة. وقد أطلق سراحها من مكتبة مع خطيبها دون أي ذكر للموضوع، لكنه

(١) الهودج: الذلول. الجمل المهيأ بالزينة والخدر للعروس.

اقتنع بينه وبين نفسه على أنه عثر على الفتاة التي تتوفر فيها جميع المواصفات المطلوبة لهذا الغرض، فتركها تخرج من مكتبة مسرورة مبتهجة تميد بقدها الفارع وجمالها الفتان، وتشق طريقها بين الجنود الذين وقفوا على الجانبين يحيون مرورها بينهم، وهي ترد التحية بأنفة وتغمز وتلمز على الجنود الذين ساقوها قبل قليل مع خطيبها مخفوراً إلى مكتب القائد.

هكذا خرجت من بيت أبيها قبل ساعات مخفورة ذليلة تبكي وتولول، وعادت إليه الآن أميرة منتصرة تمشي الخيلاء وتدوس الأرض بأصابع أقدامها كأنها حققت فوزاً كبيراً لا يقدر بثمن، حتى ولا تعادله كنوز الدنيا لأنه لصالح حبها وقلبها وعواطفها الجياشة الحالمة... بعد هذه الحادثة سطع نجم فرحة في القرية وراحت الأحاديث تتناقل أخبارها:

أنقذت حبيبها، قابلت القائد، القائد الفظ القلب الذي يخشى مقابلته عناتر الرجال، ذاعت شهرتها في القرى المجاورة، يتردد اسمها على كل لسان تدعى إلى المهرجانات والحفلات الرسمية مكانها مع الوالد في المقاعد الأولى إنها تعرف القائد تحل أي مشكلة مع السلطة، حتى والدها قد أصبح ذا شأن يجلس في المقاعد الأولى بجانب شيخ البلد مع الوجهاء والمتنفذين...!! وها هي عائلة المزيد أصبحت ذات شأن عند القائد وحتى عند الوالي في دمشق لا يرد لها طلب.

تجددت المعارك على حدود الجبل وزادت هزائم الجنود أمام ثوار أشاوس يدافعون عن تراب وطنهم، عن عائلاتهم وأبنائهم، عن حريتهم، ... ضد غزاة همج من الأجانب الأتراك يريدون إخضاعهم وبسط السلطة والنفوذ الجائر عليهم، ومع الأسف كلما ازدادت شجاعة الثوار وانتصاراتهم على الجيوش التركية الجرارة كلما زاد إصرار السلطان في إسطنبول على إخضاعهم، طمعاً بتجنيد أبنائهم الشجعان هؤلاء الشبان البواسل للدفاع عن تاج السلطان ضد الحركات التحررية في بلاد الروملي والبلقان.

وقد تصور السلطان: أن بسواعدهم المفتولة وهجماتهم المرعبة يكمن النصر المؤزر لجيوشه في ساحات القتال في أوروبا..!!!

تلبية لرغبة السلطان في إسطنبول قرر والي دمشق بعد التشاور مع قائد الجيش وقادة الألوية، إعداد حملة كبيرة مجهزة بأحدث الأسلحة والمدافع الثقيلة والخفيفة، على ان يشدوا معها عطفة لتشجيع المحاربين في القتال وتثبيت أقدامهم في المعارك حتى النصر، وبناء على ذلك قام القائد باستدعاء عمار وخطيبته إلى مكتبة ليبلغهما أنه بحاجة هذه المرة إلى عمار ليسلمه قيادة سرية، وعندما أصرت فرحة على مرافقة خطيبها لجبهة القتال طالما هناك العماريات[1] والمشجعات، بادرها القائد قائلاً: ربما يقع اختيارنا عليك لتكوني العطفة المطلوبة فطارت هذه من الفرح، لكنها بنفس الوقت كانت تتوجس جزعاً وخوفاً من الحرب الضروس التي لا تشفق ولا ترحم، فقالت: هذا يتطلب موافقة والدي والعشيرة أيضاً..!!

اليوم الثاني كان والد فرحة وبعض أفراد عشيرته في مكتب القائد جميل باشا الذي بدأ بتوزيع الهدايا الخاصة العينية من الليرات الذهبية، هدية السلطان، هدية الوالي، هدايا قادة الفرق، ثم تبع ذلك الكلام الذي أخذ يتردد على لسان الجميع في الجلسة:

" فرحة هي العطفة، فرحة العطفة المناسبة، الجميع مع هذا المجد العظيم الذي خص به القائد آل المزيد وقد صور للجميع ان هذا الموضوع هام جداً للوالي ، وللسلطان وللتاج العثماني في إسطنبول ..!!" لكن لي شرط واحد قال والد فرحة:

ولما أنصت الجميع أضاف:" شرطي أن تتخصص أقوى الفرق وأقوى الفرسان لحماية العطفة أثناء القتال" .. لك هذا ... لك هذا بالتأكيد، أجاب القائد جميل بصوت مرتفع، وستكون حماية العطفة مسؤوليتنا الأولى وقبل كل المسؤوليات.....

---

(١) **العماريات: فتيات جميلات مزينات يرافقن العطفة والفرسان إلى ساحة القتال لتشجيعهم في المبارزة والقتال.**

الفصل الرابع

المعركة الحاسمة

قسمت الجيوش التركية لسبع فرق. وقد شدوا لها العطفة المطلوبة فألبسوها الثياب الزاهية الجميلة وزينوها بالمصاغ الكثير الوهاج، كما زينوا هودجها:

وهو ذلول[1] فتي قوائمه طويلة ممشوقة تشبه سواري[2] الأشرعة رقبته طويلة تتلوى كأنها الأفعى تنتهي برأس صغير مكلل بريش النعام والمرايا والزخارف الملونة، على الظهر إيوان أصفر مربوع تتدلى عليه الخيوط والحبال الملونة الزاهية التي تحمل الشراشيب[3] والدندشة[4] بمختلف الألوان ، وهو يلمع كأنه سفينة نزلت من السماء لتشكل خدر[5] العطفة التي كانت تطل برأسها من بين الستائر ليبدو وجهها كالبدر المنير في ليلة مظلمة. وهنا يصفها الشاعر بقوله:

كاللكوس[6] خدودها في الليل الأظلم والثنايا برق والحاجب سيوف

والجزع في جيدها[7] عسجد[8] تلملم معلمات صباعها سمح الكفوف[9]

مشت طوابير العساكر بانتظام ، تتقدمها المدفعية ، سرايا الدفاع عن الجانبين تزهو بألبستها وبواريدها اللماعة. العطفة تتهادى ببطء خلف الجموع حولها العماريات يطلقن الزغاريد والأغاني الحماسية ، حتى اقتربوا من ساحة المعركة فتوزعت

---

(١) جمل فتي نشيط يزين بالألوان ومختلف الدناديش.

(٢) السواري: الأعمدة الطويلة التي تحمل الأشرعة.

(٣) الشراشيب: كتل من الخيوط الملونة تستعمل للزينة.

(٤) الدندشة: الزينة المفرطة.

(٥) الإيوان: خدر من القماش يشبه الخيمة الصغيرة المكعبة على ظهر الهودج.

(٦) لكوس: جمع لكس: وهو مصباح قوي يستخدم للإنارة.

(٧) جيدها: عنقها.

(٨) العسجد: معدن أبيض لماع كالفضة.

(٩) معلمات صباعها: مزينات أصابعها. ـ سمح الكفوف: أكف مفتوحة دليل الكرم.

بطاريات المدافع على مرابضها المقررة تقذف بقنابلها من فوق الجنود الذين تقدموا بهجوم متناسق لتدك الرجاجيم[١] والمتاريس وتحيلها جحيماً محرقاً، لتبعد الثوار عن طريق الجيوش التي زحفت تتقدم بانتشار قتالي نحو الجبل. احتدمت المعركة، الدخان يغطي الجو ليصبح النهار ظلاماً دامساً لولا شهب البارود ولهب الحرائق. رزم[٢] المدافع يصم الآذان، أزيز الرصاص صيحات الرجال. تقطعت أنفاس العماريات والفتيات جميعاً، خمدت أصواتهن ورحن يرتجفن من الخوف والرعب ومناظر القتل والدم والصراخ.... الجيش يتقدم ولكن ببطء. وأخيراً توقف فبدأت الهجمات المعاكسة تخترق صفوفه ودب الرعب والذعر بين الجنود فأختل نظامهم وتضعضعت صفوفهم فراحوا يفرون باتجاهات مختلفة وبدأ الجيش يتقهقر أمام الهجوم الصاعق للثوار بالسلاح الأبيض. أمام الصيحات المرعبة للفرسان والثوار الذين انحدروا من الجبل كالسيل الهادر إلى ساحة المعركة، والقنابل تمر فوق رؤوسهم وهم ملتحمون مع الجنود والضباط المهزومين يطاردونهم في كل اتجاه....

بطلت فعالية المدافع وأسلحة المدى البعيد كلها، وزادت فعالية السيوف والمدى[٣] والخناجر والفؤوس، حتى العصي والحجارة في ظهور الجنود الذين ولوا الأدبار لا يلوون على شيء، حتى الفرسان الأشداء المدافعين عن العطفة فروا مشتتين أمام صيحات الثوار المرعبة وفرسانهم المنبطحين على ظهور الجياد يتعقبون تجمعات الجند الصامدة ليشتتوها وتولي الأدبار...

تسابق فرسان الثوار نحو العطفة وحماتها الأشداء ليقطع الشيخ المارد " وهبي جزان" رقبة الهودج ورقبة قائده بضربة سيف واحدة فترمي العطفة بنفسها عليه من الخدر المتهاوي على الأرض كأنها الملاك الطائر يطلب النجاة ... دخيلكم... دخيلكم... أنا عربية... أنا بنت المزيد... سلموا روحي ورفيقاتي...!! تصرخ العطفة وهي تلقي بنفسها على الفارس.

---

(١) الرجاجيم: أكوام الحجارة.

(٢) رزم المدافع: صوت إطلاق قنابل المدفعية.

(٣) المدى: جمع مدية وهي السكين.

وصل عندئذ أحد قادة الثوار " الحناوي" وصاح بالجميع: النساء لا تمس، العطفة مع كاسبها الأول الشيخ وهبي جزان إلى قنوات ، المعركة مستمرة. هكذا تابع الثوار المعركة، فتجندل قائد الحملة جميل باشا وعدد من ضباطه وفر الجند تاركين آلاف القتلى والجرحى تغطي جثثهم ساحة المعركة، وغنم الثوار آلاف البواريد والذخيرة والمدافع مع قنابل المدفعية التي أضرموا النار فوق أكثرها لتتفجر بأرضها بالجملة، وتهتز الأرض تحتها وتتزلزل، معلنة انتصار الثوار القلائل المدافعين عن الحق والوطن والحرية، على الجيوش الجرارة الباغية، وكان انتصار الحق على الباطل...!! إن الباطل كان زهوقاً..!!

الفصل الخامس

العطفة في قنوات (أو السهوة)

قنوات أو كاناتا (**KNATA**) مدينة عشتار آلهة الخصب والجمال. المدينة الفضية الناصعة بمياهها وثلوجها وعمائم شيوخها..!!

دخلت فرحة قنوات مع الموكب المنتصر وأهازيج الفرسان وزغاريد النساء.. البلدة تستقبل الشهداء كأنهم عرسان خضبوا بحناء الدم مع الأهازيج الحربية:

هــذي بلــدنا ومــا نبيعــه بالــذهب إلا بجمــام[1] الــروس تعــالي حجارهــا

طـب الفزيـع[2] وطبـق الـصايح عقـب[3] جيــوش الأعــادي تجنــدلت شــوارها

وكانت العطفة حزينة بائسة صوتها خافت عند الكلام بالكاد يسمع مع زفير متسارع لأنفاس حارة ودمعة سخية تكاد لا تنقطع، وقد ظنها أكثر الناس فتاة

(١) جمام: جماجم. ـ يرى أكثر المؤرخين أن العطفة وصلت إلى السهوه وفيها قابلت الشيخ الحناوي مع والدتها.

(٢) طب الفزيع: وصل النذير الذي ينذر بالحرب.

(٣) طبق الصايح عقب: كثر الصياح والصراخ بعد ذلك.

تركية " تمكيج"[1] وجهها بالحمرة ومساحيق التجميل بكثافة على البشرة والعيون حتى كادت تخفي معالم صورتها وسحنتها الأصلية، وقد فوجئت بكلام الود والألفة بعدما التفت حولها فتيات قنوات بدار الشيخ وهبي يتجاذبن معها أطراف الحديث. كما فوجئن بأنها عربية من بنات الجوار، وقد وجدت فرحة الفرصة مناسبة لتذيع طريقة خداعها وجرها مع خطيبها لمرافقة الجند وهي تكره الحرب والقتال خاصة مع أبناء وطنها وعروبتها، وكل ما كانت تهدف إليه وهي الولهانة المتيمة، أن تكون قريبة من حبيب الروح حتى في ساحات القتال.

في اليوم التالي أقامت فتيات الدار حفلة غداء حضرتها أكثرية نساء البلدة كرمنها وهدأن من روعها، ثم فاجأنها بحضور خطيبها عمار الذي كان مع الأسرى، فأطلقن سراحه وجئن به يسلم عليها بدار مضيفها[2]، فطارت فرحة من الفرحة عندما شاهدته سالماً، وكادت لا تصدق حواسها عما تسمع وترى فظنت نفسها في حلم يدغدغ أمانيها ليس أكثر، فاستسلمت لمشيئة القدر وباتت قلقة لم تعرف عيونها النوم.

في الجانب الآخر قلقت والدة العطفة على مصير ابنتها، خاصة بعدما حملت الأنباء مقتل جميل باشا قائد الحملة وأكثرية ضباطه وإبادة وأسر الكثير من الجنود، لكن بعض العماريات العائدات من المعركة طمأنها عندما سمعن أحد قادة الثوار " الحناوي" وهو يأمر بقوله: النساء لا تمس بأذى.. العطفة إلى قنوات.

شدت والدة العطفة ركابها على جناح السرعة وكانت في اليوم التالي تدق أبواب المضافة[3] في قنوات، وكم كانت دهشتها كبيرة عندما شاهدت ابنتها وخطيبها موضع الحفاوة في حفلات التكريم في قنوات كونهم عرباً، يساقون إلى المعركة بغير إرادتهم، وقد كانت هي نفسها بعد ذلك موضع حفاوة لأن ابن المزيد

---

(١) تمكيج: طلي بالمكياج وهو مساحيق التجميل.

(٢) المضيف: المعزب أي صاحب البيت الذي ينزل فيه الضيوف.

(٣) المضافة: قاعة استقبال الضيوف.

كان معروفاً لدى الكثيرين من الأعيان في البلدة، وما كادت ترتاح أعصابها حتى كانت تتشدد بالناس قائلة:

قلتلـــهم عقنـــوات نلفـــي ونبـــات[1] علـــى قهـــوي وشـــرابات ونقوليـــه[2]

حضر الشيخ الحناوي إلى قنوات بعد ذلك، وسأل الأم: كيف وجدت ابنتك عندنا؟؟

فأجابته: عرضها مصان وكرامتها مصانة ومصاغها مصان، فأنتم أهل الشرف والكرامة، ومن أخلاقكم العالية: دمح الزلات[3] والحلم عند الظفر[4] والعفة عند المقدرة ومن حقكم علي أن انشر ما شاهدت وما عرفت عنكم دون زيادة أو نقصان على كافة البشر في جميع أنحاء الوطن. فأجاب الحناوي:

من حقك أن تستلمي ابنتك ونحن نريد أن نصونها لتقول لأبيها ما يلي:

تبـــصر يـــا أعمـــى العيـــون العطفـــة مـــانتش قـــدها[5]

العطفـــة يلزمهـــا أحـــرار يستـــشهدوا حـــدها[6]

ومـــن أمـــن للأتـــراك نتـــل ذقنـــه بـــشدها[7]

شدت والدة فرحة الرحال عائدة لبلدها وعشيرتها معززة مكرمة والدموع تترقرق في عينيها من الفرح بما شاهدته وعرفته في الجبل، ولسلامة ابنتها وخطيبها وصيانة عرضها وكرامتها. وقد واكب ركبها ثلة من فرسان الجبل لحمايتها حتى

---

(١) نلفي ونبات: نصل وننام الليلة لليوم التالي.

(٢) النقوليه: حلويات تقدم للزوار.

(٣) دمح الزلات: الصفح عن الأخطاء.

(٤) الظفر: النصر.

(٥) تبصر: انتبه- كن متفتح البصيرة متيقظاً ـ ما انتش قدها: لا تستطيع تقديم متطلباتها.

(٦) يستشهدوا حدها: يموتون لأجلها.

(٧) نتل ذقنه بشدها: كناية عن الندم، أي: ينتف شعر ذقنه كنتف الريش.

وصلت مقر الأمان بديارها مع ابنتها وخطيبها. وقد استقبلها أهالي بلدتها على مشارف البلد بالأهازيج والأغاني والهتافات للثوار وأبناء الجبل مما أثار حفيظة الجنود الأتراك فحاولوا اعتقال بعض الهاتفين للثوار لكن موكب الأهالي أجبر الجنود على مغادرة المكان وتحول مهرجان الاستقبال إلى عرس واحتفال كبير بزفاف العروسين عمار وفرحة وبالابتهاج بعمل الثوار ودفاعهم عن الوطن.

وقد يئس الأتراك من تكرار الحملات الفاشلة على الجبل بعد معركة قراصة المذكورة، فدعى والي دمشق الثوار للمصالحة وأنعم على بعضهم بالمناصب والهدايا وأنهوا حالة الحرب التي جرت على الجميع الخراب والدمار لينعم الكل بعد ذلك بفترة من الراحة والاستقرار والسلام وقد كان الصلح سيد الأحكام....!!!

* * * * *

عرس فهيدي

رواية تاريخية واقعية جرت حوادثها بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حوالي ١٨٧٦م عندما كانت السلطة العثمانية تجدد الحملات المتكررة لفرض سيطرتها على البلدان العربية.

الفصل الأول

الخطيفة

أحمد الجوفي شاب وسيم مغامر هجر أهله وعشيرته في صحراء الجوف القاحلة، وجاء يعيش ويعمل مع خاله وأبناء خاله في درعا حيث الاعتدال في الجو والمياه الغزيرة.

نهر اليرموك وبحيرة مزيريب والطبيعة الخضراء الموشاة بأزهار الجولان الخصبة وحقول حوران الفسيحة والتجارة المربحة والنشيطة في درعا ممر القوافل التجارية بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ودمشق الفيحاء وحلب الشهباء من جهة وبين الأردن والجزيرة العربية والخليج العربي والعراق من جهة أخرى. وما أسرع الثراء في مثل هذا الموقع خاصة لشاب نشيط مثل أحمد يعمل بالتجارة ويزرع عشرات الدونمات في أراضٍ خصبة غنية.

وقد لفت الأنظار بقامته الطويلة وقده الفارع، إجمالاً شخصيته مرموقة قوية تتضح بالشباب والنشاط والثروة الوافرة!! ولا تنقصه إلا عشيرة ترعاه وتحميه وتشد أزره عند اللزوم لأن عشيرته مع الأسف بعيدة في الجوف وهو هنا فرد وحيد " مسمار أقطم[1] " بين عشائر الزعبي والحريري والفهد والمقداد وأبو روميه الضخمة الكبيرة....

تهافتت بنات العشائر والشيوخ الجميلات على هذا الشاب الوسيم النشيط الذي يلفت النظر بقده وجماله وحتى سلوكه ومعاملاته المثالية الراقية. لكن الزعماء

(١) المسمار الأقطم: كناية عن الشخص المقيم بمفرده.

والعشائر لا يناسبون إلا الأعيان والعشائر المعروفة حيث العصر هو عصر سيادة الزعماء والشيوخ والإقطاع، وعندما رفضت عشيرة الفهد أقوى العشائر في المنطقة أن تزوجه ابنة شيخ العشيرة الحبيبة فهيدي، اضطر لخطفها ودخل معها دار حكمدار " قائممقام" بصر الحرير التركي، آملاً بحل المشكلة على يده وزواج ميمون بعد المصالحة مع عشيرة الفهد بجهود حكمدار بصر الحرير وسلطته القوية.

وقد كان الزواج على طريقة الخطيفة شائعاً في تلك الأيام حتى ان بعض الفتيات المعتدات بأنفسهن كن لا يقبلن الزواج إلا خطيفة لذلك نرى خلود الشعلان تقول لابن عمها النائب في مجلس العشائر بدمشق قصيدة منها:

خلي حبك مثل ذبك للسيكارة[1] لا تولع بهوى كل أجنبية

والما يأخذ حِبتو بكز وشطاره كوبه يا للي تشربوا عالجوع ميه[2]

كان الشاب أحمد شهماً عالي الأخلاق لم يرض بالدخلة على مخطوفته إلا بعد حل المشكلة مع أهلها والزواج على سنة الله ورسوله بزفة بهيجة وأهازيج واحتفالات يتناقل وقائعها جميع الناس وتدخل التاريخ من بابه الواسع باسم عرس فهيدي.

وفعلاً دخل عرس فهيدي التاريخ لكن ليس كما تمنى له أحمد أن يكون، إنما كما شاءت الأقدار ولعبت صروف الدهر.

الفصل الثاني

الدخيل

حكمدار بصر الحرير يستحسن المخطوفة فهيدي ويتزوجها، ويطرد أحمد هائماً على وجهه، فيتحول زواج فهيدي من خطيفة إلى خطيفة الخطيفة.

---

(١) خلي حبك: اجعل حبك ـ ذب السيكارة: مصها بهدوء متقطع.

(٢) الكز: الطعن بالرمح. ـ الشطاره: المهارة. ـ كوبه يا للي تشربوا ميا: كناية عن الضعفاء المقصرين عن الوصول لحقوقهم.

احتار أحمد!! ماذا يفعل؟؟ إلى أين يتجه؟؟ وحيد، مطرود، لا مسعف ولا معين!! وليس له أي ركن في حوران يعتمد عليه لتحصيل حقوقه!! وفجأة تذكر الجبل... ! الجبل في جواره... الجبل قريب ملجأ لكل المطاردين، وملاذ لجميع المظلومين، الجبل.. الجبل.. كان قد سمع الكثير عن جبل حوران الشامخ إلى الشرق وسمع الحكايات الكثيرة عن حمايته للمظلومين، وإغاثته للأحرار المطاردين من أي طائفة أو عشيرة وطالما ترددت على مسامعه أغاني وأهازيج كانت شائعة في حوران تصب في ذلك المنحى مثل:

جبل حوران يا معذي الدخيلين   للحر والملهوف أنت المنارة

فيك الكرامة والعدل فيك تامين   واللي يريد العز ينحر تعاره[1]

" تعاره" أولى قرى الجبل من جهة حوران تبعد عن بصر الحرير حوالي ٨ كم شرقاً. تعاره!! إنها قرية قريبة على مرمى البصر من بصر الحرير، القرية الأولى من قرى الجبل الذي أخذ يكبر ويتضخم في خيال أحمد، وبقدر ما شاهد نفسه صغيراً عاجزاً أمام الحدث الذي حصل له في بصر الحرير بقدر ما بدا له الجبل كبيراً شامخاً عملاقاً في خياله.

إلى تعاره دخل أحمد دار الشيخ سلمان مستجيراً..!! مضافة كبيرة واسعة، أرضها مستطيلة مبلطة بقطع الحجارة البازلتية، على شكل مستطيلات مرصوفة بانتظام، على المحيط مقاعد حجرية متصلة كأنها قطعة واحدة تمتد محاذية للجدران، كراسيّ ملتصقة بصف واحد له نفس الزوايا " الطواطي"، شبابيك كبيرة مفتوحة للهواء الطلق. وفي الزاوية إلى يمين الباب معاميل القهوة " الدلة الكبيرة، أباريق الطبخ الغلاية" كلها فوق منقل نحاسي لماع ـ النجر "جرن القهوة" فيه مضرب مبرج عليه نقش جميل محفور كأنه الصولجان[2].

---

(١) تعاره: قرية من قرى الجبل على جوار اللجاه.

(٢) الصولجان: عصا الملك.

سلم أحمد وجلس في الصدر صامتاً لا ينبس ببنت شفه..! يبدو عليه الهم الثقيل والحزن واليأس، الشيخ سلمان يرحب ولا يسأل لأن ليس له الحق أن يسأل ..!! يدخل الرجال بالتتالي، كل منهم يسلم ويجلس صامتاً يترقب، الشيخ يصب القهوة بنفسه بعد ذلك ماء الشرب، يعقبه مباشرة ما تيسر من الطعام لعل الضيف جائع، طبق القش في وسط المضافة عليه صحون اللبن، السمن، البيض المقلي وغيرها خبز الملوَّح الرقيق الواسع على محيط الطبق حول الصحون!!

أفلح يا ضيف على الميسور[1]، ترى ما هو غداك، لقمة سريعة علك تكون جائعاً، واجبك يتبع..!!

يقول الشيخ سلمان وهو متجه نحو الضيف، ثم يتجه نحو المسايير[2] قائلاً: هيا.. تفضلوا شاركوا الضيف: يتنحنح أحمد. فيعرف الجميع أن عنده كلام سيقوله قبل الأكل. فينصت الجميع مركزين نظرهم على الضيف الذي تململ قليلاً، واعتدل في جلسته على الطواطي ليقول:

الشيخ سلمان!! أيها الغانمين..!! ترى جئتكم مستجيراً.! إن حكمدار بصر الحرير الذي جئته قبل أسبوعين دخيلاً مع مخطوفتي فهيدي الفهد آملاً أن يحل مشكلتنا ويؤمن لنا المصالحة مع أهلها، طمع بجمال فتاتي وأغراه ضعفي ووحدتي، فسطا على الفتاة ليطردني شر طرده..!! وأنا داخل على الله وعليكم، لتحصيل حقي من هذا الظالم الذي خالف كل المبادئ والأعراف الاجتماعية والإنسانية وسلبني محبوبة عمري التي جازفت بخطفها بدمي وحياتي حتى وصلت بيته..!! وأنا داخل.. داخل.. داخل.. عليكم، على حريمكم، على أولادكم، غير قادر على الأكل والشرب ولا حتى على النوم..!! كانت الدموع تترقرق في عينيه وصوته يكاد يختنق.. حتى وصل لهذا المقطع الأخير..!!

أفلح.. أفلح يا ولد، أفلح.. ونحن معك بكل ما نستطيع قال الشيخ سلمان!! فانفرجت أسارير أحمد عندما تطمأن على المساعدة. بعدما أيقن أن هناك من

---

(١) أفلح على الميسور: تفضل على ما تيسر من الزاد.

(٢) الأشخاص من أهالي البلد.

يشاطره الهم ويساعده على الحلول فتقدم يأكل ببطء وعاد قلبه يخفق بالحب والأمل.

الفصل الثالث

الكمين الفاشل

احتار الحكمدار بأمره، ماذا يفعل ليبعد أحمد عن تعاره أو ليبعد عشائر الجبل عن أحمد. عشائر الجبل المعروفة بصولتها الشديدة لإحقاق الحق وإغاثة المظلوم وقد تذكر ما قال الشاعر:

كيادة الظالم على كل كيده نطاحة للشر عند المعاسير

لكن أحمد وصل تعاره..! استجار عند الشيخ سلمان.. عشيرته كبيرة تسيطر على المنطقة المجاورة لحوران. أخوه شبلي شيخ قرية الدويرة. معروف أيضاً بشجاعته وكرمه، حتى البدو وجميع الرعاة يحلفون بحياته. وقد زاد قلق الحكمدار عندما أصبحت حكاية فهيدي وأحمد على كل لسان ودخلت في أغاني الأعراس وأهازيج الاحتفالات مثل:

عا الهواره الهواره[1] أحمد شرق ع تعاره

أحمد صار بدار النصر ينادي فهيدي صبح وعصر

يقلها لعمرلك قصر وفوق القصر طياره

فهيدي في بصر الحرير خطفها حكمدار كبير

شرب الغطا وشرب البير وقلع أحمد ع تعاره

---

(١) الهواره: فرقة حربية شديدة البأس تشبه فرقة النجدة. شكلها إبراهيم باشا المصري وزودها بأحدث الأسلحة ليستخدمها لإنقاذ فرق جيشه المحاصرة وقد سحقت على يد الثوار باللجاه سنة ١٨٣٨م.

وأخيراً اقتنع الحكمدار بأنه لا بد من العمل والحركة بسرعة قبل فوات الأوان..!!

امرأتان من بصر الحرير تدخلان دار الشيخ سلمان في تعاره، تطلبان مقابلة أحمد على انفراد..!! أحمد الذي يسأل عن فهيدي بتلهف وشغف العاشقين المتيمين.

فهيدي متضايقة جداً أجابتاه تكاد تنفجر حزناً لفراقكم. وقد أبرزت إحداهن أيقونه ذهبية كان أحمد قد أهداها لمحبوبته فهيدي، ليصدق ما تقولان له وأضافت الثانية:

فهيدي تريد الهرب. تريد الهروب معكم، ستنتظركم عند البركة الجنوبية شرق بصر الساعة الثانية بعد منتصف الليل، الليلة القادمة حيث يكون الحكمدار مستغرقاً في نوم عميق بمثل هذا الوقت... الإشارة شرارة ضوئية من عود ثقاب أو قداحة.

غداً..! غداً..! الليلة القادمة.

هلل أحمد للخبر لكن بحذر شديد، لأنه يعرف غدر الحكمدار الماكر. مع ذلك قرر الذهاب في الموعد المحدد للقاء حبيبة القلب وعشيقة روحه فهيدي ولو على جثته. وقد حذره الشيخ سلمان من مكيدة مدبرة، لكنه بعد أن لمس الإصرار الشديد عند أحمد، زوده بثلاثة من رجاله الشجعان المجربين لمساعدته وحمايته عند اللزوم..!!

انطلقت الشرارة على بعد قليل من المكان المحدد وقبل الموعد المضروب بربع ساعة تقريباً. فهجمت الكمائن من عدة جهات لتطوق المكان، لكن أحمد ورفاقه، تمكنوا من التسلل والهرب شرقاً تحت جنح الظلام، يطاردهم عدد كبير من رجال الحكمدار فرساناً ومشاة، يحثون الخطى للقبض على ضالتهم، وعند الحشر قرب تعاره أرتد نعمان أبن عم الشيخ سلمان، وأطلق النار من طبنجته[1] على الأشباح المطاردة فأصاب خردقها وجه عصمت الترك أخ الحكمدار فأطفأ عينيه وجرح وجهه، ليعود محمولاً إلى بصر الحرير على أكتاف الرجال المطاردين يئن من العمى

(١) الطبنجه: سلاح فردي بشكل سبطانة قصيرة تحشى بالبارود والخردق.

والألم ويندد بأخيه الحكمدار الذي دفعه لهذه الغزوة الخاسرة التي أفقدته البصيرة والبصر.

الفصل الرابع

المصادمات

توصل الحكمدار بتفكيره إلى ان الهجوم خير من الدفاع لذلك قرر مهاجمة ربع الشيخ سلمان أينما وجدوا ، فأنذرهم بعدم الاقتراب من أراضي حوران وراح يطالبهم بثأر أخيه عصمت. إطلاق النار عمداً من سلمان مقابله دية رجل " دم زلمي" وما كاد يعلم أن الشيخ شبلي أخ الشيخ سلمان عند رعاته شرق بصر الحرير حتى حاصر مخيم البدو بجنوده الذين كانوا يطلقون النار من كل جانب. فقتلوا أربعة من الرعاة ورجال الشيخ شبلي المدافعين واستمر إطلاق النار بين الفريقين عدة ساعات حتى وصلت النجدات من تعاره والدويرة على صوت البارود وفكت الحصار عن المخيم طاردين جنود الحكمدار حتى دخلوا إلى بصر الحرير وتكبدوا ثلاثين قتيلاً غير الجرحى... وعاد رجال شبلي وسلمان إلى الدويرة و تعاره يرددون أهازيج النصر التي تغنى حتى الآن خاصة في نجران وسميع:

ما طول فهيدي عندكم   دفانكم ما يستريح

عاداتنا شرب الدما   مفزاعنا يسبق الريح[1]

ثلاثون قتيلاً..!! مجزرة كبيرة.. تدمير ـ تخريب ـ جرائم خطيرة.

الوالي التركي بدمشق ينتظر يتربص ـ السلطان العثماني في إسطنبول ينتظر أي سانحة أي فرصة مناسبة للزحف على الجبل وتطويقه وإخضاعه لسلطة الدولة العثمانية ـ هذا الحصن المنيع العاصي على الدولة، رفض أهاليه دفع الضرائب الباهظة للسلطان، رفض أهاليه الجندية الإجبارية في الجيش التركي وسحبهم مجندين لبلاد البلقان، بلاد الروملي "رومانيا ويوغوسلافيا حالياً" للقضاء على

---

(١) المفزاع: الراكض للنجدة.

الحركـات التحريريـة هنـاك والـدفاع عـن تـاج الـسلطان تـاج الظلـم والطغيـان في الإمبراطوريـة العثمانيـة. وطالمـا طمـع الـسلطان بتجنيـد فـصائل وفـدائيين مـن هـؤلاء الـشجعان أبنـاء الجبـل المعـروفين بـشدة بأسـهم في القتـال، وكـم هـرب الأعـداء مـن معـاركهم لمجـرد سمـاع أهـازيجهم وصـيحاتهم المرعبـة وكـم حققـوا مـن انتـصارات باهرة على جموع كبيرة من الأعداء مهما كان عددهم قليلاً.. وقد قـال عنهم بعض المؤرخين ما يلي:

واحـد منهم لوحـده مقطـوع خبره ـ اثنـان عـصابة ـ ثلاثـة ثـورة. لكـل هـذا قـال الـسلطان سـنجهز جيـشاً بالأسـلحة الحديثـة والمـدافع. سنبـسط سـيطرة الدولـة علـى الجبـل، لنـسوق هـؤلاء الـشبان للجنديـة كـي يحققـوا لنـا النـصر في جميـع حروبنـا ومعاركنا أينما وقعت.

الفصل الخامس

المعارك الكبرى

بدأ والي دمشق التركي بالتحضير وإذاعة المبررات للزحف والسيطرة على الجبل تنفيذاً لرغبة السلطان. وقد بدأت عشائر الجبل بالاتصالات والاجتماعات والتخطيط للدفاع عن الوطن والحرية والكرامة.

بعـد شـهور مـن التحـضير للجـيش التركـي الجـرار في بـصر الحريـر و ازرع ومـا جاورها من سهل حوران، زحفت الطـوابير نحـو الجبـل بأسلحتها الحديثـة ، تمهـد لهـا المدفعية طريق الـسلامة بقـصف متواصـل للأهـداف والرجـاجيم والمتـاريس المضادة في طريـق العـسكر المتجـه نحـو الـشرق وقـد اضـطر الثـوار مبـدئياً للتراجـع أمـام ضـغط المدفعيـة والكـثرة الهائلـة الـتي تزحـف لأهـدافها المرسـومة كالـسيل العـارم. وكانـت العـائلات قـد رحلـت بعيـداً مـع الأولاد لأعمـاق اللجـاة[1] وأعـالي الجبـل لإبعـادهم عـن المعارك الطاحنة والجيوش الباغية الظالمة التي تتقدم لسحقهم وتدميرهم.

---

(١) اللجاة: منطقة وعرية شمال غرب الجبل.

احتل الجيش تعاره بلد الشيخ سلمان وهي خاوية من السكان وتقدم شرقاً حتى اقترب من نبع قراصه وبدلت المدفعية مرابضها للتوضع مقابل تعاره وقراصه..

وفي اليوم التالي كانت المعركة حامية الوطيس حول نبع قراصه المحاذي لوعرة اللجاة، الثوار يهاجمون الجيش فرادي وجماعات. النساء بجانب الرجال تنخيهم تثير حماسهم..

تأججت المعركة فامتشق الثوار السيوف والخناجر والفؤوس وكافة أنواع السلاح الأبيض وشنوا هجوماً صاعقاً مع أهازيجهم الحماسية وصيحاتهم المرعبة، فدب الذعر والخوف في قلوب الجنود الذين تضعضعت صفوفهم وولوا الأدبار هاربين يطلبون النجاة بأنفسهم وكان المشهد الهائل المؤثر: خيول غائرة ورؤوس طائرة وأشلاء متناثرة، فاضطر الجيش للتراجع بعد أن أصيب بخسائر فادحة، وقويت عزائم الثوار فتعقبوه حتى تحول تراجعه إلى هزيمة نكراء أعادته إلى ما بعد تعاره ثم بعد بصر الحرير وكان من الطبيعي أن يسرع فرسان الثوار إلى المدافع التي أهلكتهم بقنابلها المدمرة. فالتقى الفارسان أبوعساف و الحناوي عند مدفع كبير يلقمه الطبجي[1] القنبلة تلو الأخرى وكان السدنة الآخرون يصرخون مهللين عند كل طلقة فاستهدف الحناوي فوهة سبطانة المدفع يسدها بعمامته ليعطل عمله، بينما قفز أبوعساف بحصانه فوق سبطانة المدفع " فسمي القميزي"[2] ليصل إلى الطبجي فيعاجله بضربة سيف قوية جعلت رأسه يتدحرج بعيداً على الأرض وجسمه يترنح خلف المدفع ليسيل دمه كالخروف المذبوح.

حنا للسيف بالدم نروي حده والمدافع بالعمايم نسده.

هكذا سجل الفارسان مأثرة الشجاعة الخارقة التي تناقلها الناس جيلاً بعد جيل وعاد الثوار منتصرين يرددون من أهازيجهم مثل هذا القول:

حنا للسيف بالدم نروي حده والمدافع بالعمايم نسده.

---

(١) الطبجي: المدفعجي الذي يلقم القنابل.

(٢) القميزي: الذي يقفز.

غربت شمس ذلك اليوم على هزيمة نكراء مني بها الجيش الجرار، وقد تجاوزت فلوله المشتتة بصر الحرير غرباً. أما أحمد فقد هجم مع صفوف الثوار لداخل بصر الحرير إلى بيت الحكمدار، يفتش في الساحات في الغرف، خلف الأبواب لعله يلتقي خطيفته المحبوبة...! يناديها بأعلى الصوت كالمجنون، ولكن.. لا وجود لمن ينادي..! الحكمدار وجميع أهالي البلدة رجالاً ونساءً وأطفالاً.. هربوا باتجاه ازرع لم يبق في البلدة كبير أو صغير..

عاد أحمد بخفي حنين يندب حظه العاثر. فقد اختفت فهيدي، وربما لاقت مصرعها أو ربما ساهمت مع الثوار بضرب الحكمدار وجماعته من يدري؟؟ لا رجل ولا امرأة في البلد ليستطلع أخبارها.. إنها المأساة الدائمة التي تقطع نياط القلب حزناً وألماً..!

وأخيراً هدأ روعه قليلاً على أمل اللقاء القريب بعد الهدوء والفصل بين المتحاربين..! هكذا عاد يعزي النفس بسراب الخيال وتصورات التفكير لعل في الفكرة ذكرى..!!

الفصل السادس

الخاتمة

طلعت شمس اليوم التالي على أرض المعركة المغطاة بجثث القتلى وبقايا الأسلحة والمدافع المعطلة، ومازال الدخان يتصاعد من جوانبها، مساحات واسعة على مد النظر تغطيها الجثث والعربات المحطمة، والدمار والخراب والموت في كل جهة..!! يتجول أحمد مذعوراً بين القتلى وبين الخراب والتدمير هائماً على وجهه يبحث عن حبيبة العمر في كل مكان!! ولسان حالة يردد: فهيدي لم تقتل.. فهيدي لن تهون ولم تمت..!! إنها ما زالت مدللّه مرفهة..!! لكنه اكتشف أخيراً أنها انتقلت من ساحة المعركة المدمرة إلى قصور الأمراء والسلاطين... " قصور يلدز" إلى ردهات وأروقة ساحل البوسفور والدردنيل الزاهية، نظراً لجمالها وأهميتها السياسية. فقد دخلت التاريخ من بابه الواسع لتترك أحمد هائماً متيماً يائساً يغمد السيف بصدره

ليسقط منتحراً، شهيد الحب والغرام..! بين جثث الجنود والعمال والفلاحين، شهداء السياسة الجائرة والحكام الطغاة والمتنفذين السفلة..!

وهكذا كان عرس فهيدي بدلاً من الاحتفالات والمباهج والأفراح، حروباً طاحنة وقتلاً وانتحاراً وتدميراً لعلع فيه أزيز الرصاص ورزم المدافع وأهازيج المحاربين وخلده الشعراء والأدباء بقصائد الحرب وحكايات البطولة والشجاعة الخارقة...

سلطان بن الرشيد في الجبل

عام ١٩٠٤ م استجار سلطان بن الرشيد أحد أمراء حايل بدار الشيخ واكد زهر الدين" شيخ قرية الصورة في جبل العرب" هرباً من بطش الوالي العثماني بدمشق، الذي أرسل مجموعة من العساكر مؤلفة من فرقتين صوراي " ٦٠ خيالاً" لإلقاء القبض على الأمير سلطان بن الرشيد ونقله إلى دمشق. ولدى وصول العساكر إلى قرية الصورة قاموا بتطويق القرية ودخل القائد مع بعض أعوانه مضافة واكد زهر الدين وقال له: ضيفك هذا مطلوب من قبل الوالي بدمشق حياً أو ميتاً، والقرية مطوقة إذا فكر بالهرب. فأجابه الشيخ واكد: لا نريد أي شيء وهذا المطلوب أمامكم وستأخذونه معكم بعد الغداء مباشرة.

كانت إجابة واكد زهر الدين عبارة عن حيلة لتوفر له الوقت اللازم لاستعداد فرسان الجبل من حوله لإنقاذ الأمير الذي استجار بهم من مطاردة الأتراك وظلمهم، لذلك أرسل هذه القصيدة إلى فرسان القرى المجاورة يطلب منهم الحضور فوراً وهي بعنوان المفزاع:

المفزاع

قـم يـا رسـل وانقـل عجـول الأخبـار	**للابـة اللـي يزينـوا كـل ملـهوف[1]**
الـضيغمي تـوو بحمانـا اسـتجار	**هاهـا النـشاما بلغـوا عيـال معـروف[2]**
متعقبينـه فـرقتين صـواري	**بـضباطهم وجنـودهم زي مـا تـشوف[3]**

---

(١) اللابه: مجموعة المقربين. ـ يزينوا: ينجدوا.

(٢) الضيغمي: إشارة لابن الرشيد. ـ توو: بالكاد الآن. ـ هاها: بسرعة.

(٣) صواري: خياله. ـ زي ما تشوف: كما ترى.

يبغـــوا نقـــايض ضـــيفنا بـــالبزاري وحنـا الـدخيل نقايـضه خيـل وسـيوف[١]

واليـــا حـــضر بالـــسوق بـــايع وشـــاري نرمي العشا من اللي من الطير معيوف[٢]

هاهـــا النـــشاما ســـلاحكم والمهـــاري دون الـــدخيل المـــال والعمـــر متلـــوف

حمـــر البيـــارق جردوهـــا جهـــاري وما احنا بحال الترك لو جمعها ألوف[٣]

الـــصقر مـــا يخـــشى رفـــوف الحبـــاري واليـا خـوى يـدعي بهـا الـريش منتـوف[٤]

حنـــا ان ســـرينا مبعـــدين المـــساري واليـــا نزلنـــا ننـــزل بـــديرة الخـــوف

علـــم الـــوالي علمـــاً مـــا بـــه إنكـــاري مـن يـزين سيوف الجبـل يبعـد الخـوف[٥]

والله يـــا لومـــا أحمـــر الـــدم جـــاري يـــا غـــير يوصـــل ضـــيفنا ديـــرة الخـــوف

ومـــا قـــدر الله علـــى طـــول جـــاري المـال يـذهب والـضنا بعـد مخلـوف[٦]

مـــار الكرامـــة مـــاش دونـــه عـــذاري كاس الردى ولا يلحق الضيم بضيوف[٧]

((سوريا ـ جبل العرب، الصورة الكبيرة سنة ١٩٠٤ واكد زهر الدين من الوثائق المحفوظة عند العقيد زيد النجم))

---

(١) نقايض: نبادل. ـ البزاري: المساومة.

(٢) البايع والشاري: فرسان المعركة. ـ من الطير معيوف: إشارة للحم القتلى.

(٣) جهاري: جهاراً.

(٤) خوى: انقض.

(٥) يزين: يعامل. هنا ملجأ إلى.

(٦) جاري: أي ما يريد الله يحصل. ـ الضنا: الأبناء.

(٧) مار الكرامة: موقف الشرف.

وما كادت تصل قصيدة المفزاع إلى فرسان القرى المجاورة حتى تجمعوا فوراً وهجموا دفعة واحدة باتجاه قرية الصورة المطوقة، وطوقوا عناصر الجيش العثماني وجردوهم من سلاحهم وخيولهم وأمروهم بالعودة لدمشق ليخبروا الوالي العثماني بما جرى بعد ذلك.

يروي المجاهد نايف عجاج نصر في مذكراته المخطوطة عن ابن الرشيد عندما لجأ إلى الصورة وفي بيت واكد زهر الدين ما يلي:

" بعدما تم تطويق الصورة من قبل فرقتين من الجنود الأتراك قال واكد لضيفه الذي بدأ يرتعد: أنا أعرفك من أنت، وإذا كنت سلطان بن الرشيد حقاً فلا تقف عندما يدخل عليك القائد التركي. وفعلاً دخل القائد التركي وسلم على ابن الرشيد وهو جالس في مكانه لم يقف ولم يتزحزح" وبعد ذلك تقدم الشيخ واكد من ضيفه وانحنى عنده قائلاً:

" أبشر يا ابن الرشيد.. سلمت وخاب طالبك" ثم ارتجل هذه القصيدة المعروفة بقصيدة النخوة أو قصيدة" كل الجبل نفداك صرح ومظاهير[1] "

النخوة أو (المظاهير)

عينيك يا سلطان يا ابن الرشيدي	**جوك النشاما فوق حمر النواظير**[2]
جوك وتناخوا من قريب وبعيدي	**والكل منهم شرع السيف ومغير**
انظر بعينيك للرمك والجريدي	**واسمع زغاريد البنات المباكير**[3]

---

(١) صرح ومظاهير: مشاة وفرسان.

(٢) حمر النواظير: الخيول.

(٣) الرمك والجريدي: الفرسان والمشاة. ـ المباكير: البكارى.

بـسيوف تحطـم كـل طـاغي وعنيـد — وعيـــال عـــم للـــوازم حواضـــير[١]

أفلـــح علـــى دســـم القـــرى والثريـــد — وسكن الـروع ولا تهـوجس مـن الـضير[٢]

وابـــشر بـــيمن مـــا عليـــه بمزيـــدي — كـل الجبـل يفـداك صـرح ومظـاهير[٣]

دخيلنـــا بالجيـــد عقـــد فريـــدي — وما احنا بحال الترك لو هم طوابير[٤]

متجـــود منـــا بحبـــل الوريـــدي — نرفـاه مثـل العـش مـا يرفـاه الطـير[٥]

دخيلنـــا مـــا ينـــشرى بالمجيـــدي — يـــا غـــير مـــن دم النـــشاما معـــايير

وأن كـان مـا يـدراه عبـد الحميـدي — كزلـوا علـومي يـا رسـل بالتحـارير[٦]

حريبنـــا ينـــاط لوهـــو بعيـــدي — ناتيـــه فـــوق معـــسكرات المـــسامير[٧]

قـــل للـــذي كـــز النـــذر والوعيـــدي — مـا احنـا لكـم يـا أتـراك يـتم قواصـير[٨]

عنـد اللقـا نـسقي المعـادي الـصديد — وأضحى النقـا بمـصلهمات المـشاطير[٩]

---

(١) للوازم حواضير: مهيئون للضرورة.

(٢) أفلح: تفضل. ـ القرى والثريد: القرى يعني الطعام والثريد: فتة خبز بمرق البندورة واللحم. ـ الضير: الظلم.

(٣) اليمن: الأمان.

(٤) الطوابير: الجيوش الجرارة.

(٥) يرفى: يصون

(٦) كزلوا: أرسل له.

(٧) يناط: ينطال. ـ معسكرات مسامير: الخيول المحذية.

(٨) كز النذر: أرسل الإنذارات. ـ الوعيد: التهديد. ـ يتم القواصير: أيتام قاصرون.

(٩) الصديد: القبح. ـ مصلهمات المشاطير: نصل السيوف.

وأيــا الجــسارة بعــد رأي ســديد	ما نعيل نحنا ولا نعتدي على الغير[1]
ولا صـار مـا نحقـل علـى مـا نريـدي	بـروس الهـضاب نـشب نـاره سـواعير[2]
كيـادة للـضدع كـل كيـدي	نطاحـه للـشر عنـد المعاسـير
هـذي عوايـدنا قـديم وجديـد	زوداً علـى عجـل القـرى للخطـاطير[3]
يـالله يـا محـصي أنفـاس العبيـد	عنـا تكفـر كـل خطـل وتقـصير[4]

يضيف نايف عجاج نصر بمذكراته المخطوطة العبارة التالية:

(بعد انسحاب الجنود الأتراك من الصورة قام فرسان ومشاة بني معروف بعرض أمام ابن الرشيد يمرون أمامه بالأغاني والأهازيج والنخوات، ولما التفت إليه واكد زهر الدين فلاحظ أنه يرد التحية للعراضات وهو يبكي فسأله: لماذا تبكي وقد انسحب الجنود وأصبحت أنت في مأمن؟ فأجاب ابن الرشيد قائلاً: أنا لا أبكي على نفسي، ولكني أبكي على المستقبل الذي من المستحيل أن ينتج مثل هذا الشباب ومثل هذه النخوة الملتهبة والكرامة والوطنية الصادقة).

بعد أيام من انسحاب الأتراك من الصورة اجتمع زعماء الجبل وقرروا أن تكون إقامة الأمير سلطان بن الرشيد في قرية "متان" الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي لجبل العرب كي لا تتمكن القوات العثمانية من الوصول إليه خاصة وأن قرية "متان" هي عرين أبو علي مصطفى الأطرش المشهور بلقب " أبو وجه أخضر" حيث انتصر في كل معركة قادها نظراً لشدة بأسه في القتال ونبل سجاياه.

رحب أهالي متان بالأمير سلطان أحسن ترحيب وعلى رأسهم مصطفى الأطرش الذي باع لابن الرشيد نصف أملاكه بحجة بيع رسمية وأخذ ثمنها مجيدة واحدة

---

(١) الجسارة: الجرأة. ـ نعيل: نجور.

(٢) نحقل: نحصل. ـ نشب: نشعل.

(٣) الخطاطير: الضيوف.

(٤) خطل: خطأ.

لكي يشعر الأمير سلطان أنه في ملكه وليس لأحد فضل عليه، وبقي في متان ثلاثة أشهر عاد بعدها إلى حائل معززاً مكرماً. وبعد عودته بعث هذه القصيدة إلى أهالي الجبل يشكرهم فيها وقد سماها " سيوف الجبل".

" سيوف الجبل"

قم يا علي ولم سلايل وضيحان	ربد من الذروات عجل جفيلة[١]
الياسو هجن ريل بليات دخان	خطات ريم شاف بالدو زيله[٢]
دني الركاب ومدمن قصر برزان	يموم ضلع عالنوايف طويلة[٣]
ضلع تشامخ مع مشاريق حوران	هو منوة المضيوم عز النزيله[٤]
عم السلام وخص لي صربة متان	وأبو علي حمال درك الدبيلة[٥]
وسيوف واكد من بيارق وفرسان	نعمين ربع معذيين الدخيله[٦]
أنا أشهد أن ساسكم ساس قحطان	وأنا أشهد أنكم من ذواد القبيلة[٧]

---

(١) ولم: هيأ. ـ وضيحان: الحصان أو الذلول الأبيض. ـ ربد: لون رمادي. ـ عجل: سريع. ـ جفيلة: تتخوف.

(٢) سوهجن: مشوا باتزان. ـ الريل: القطارات، ريل وأي سكة القطار الإنكليزية. ـ الدو: القفز. زيله: زواله.

(٣) دني: هيأ. ـ قصر برزان: قصر حايل: - يموم: يم نحو. ـ الضلع: الطرف البارز أو الجبل.

(٤) المضيوم: المظلوم، المتألم.

(٥) أبو علي: الأمير مصطفى. درك الدبيله: أشد المصاعب.

(٦) معذيين: منقذين.

(٧) ذواد القبيلة: وجوه العشيرة.

ما للوازم بعدكم كاين كـــــــــان ولا للكرامـــة كـــل صـــرح ظليلـــه[1]

يوم أن علينا حوضـبت الأربـع أركــان واتقطعــت وذم العــرى مــن مــشيله[2]

جونــا ســرايا الكيــد مــن آل عثمــان وبعيــونهم تقــرا الغــدر والدغيلــة[3]

حاطوا بنا ما يحوط خمسك بفنجان وبــات الفــرج عــسراً علــى كــل حيلــه

نحــرت عــاني لابــة مــن هــل الــشأن بــيض العمــايم كاسـبين النفيلــة[4]

عـــاداتهم حمـــي المغـــاتير وضـــعان يـــا لـــين قبــت كــل قبــة شــليلة[5]

نطاحــة الكايــد علــى كــل ميحــان حمـل الـترك مـا مـن سـواهم يـشيله[6]

تطــابقوا عنــدي علــى المــوت عقبــان ولا هـم بهـاجس مـن كـثير وقليلـه[7]

يــا زيــنهم يــوم أن تنــاخوا المــردان وبيــدينهم تلمـــع رهـــاف النـــصيلة[8]

لمــــا لفـــوا والجـــو عجـــاً ودخـــان يــا شــوفهم يــبري الكبــود العليلــة

راحــت علــى حمــر الطــرابيش شــردان واقفــوا يجــرون الخــزي والفــشيلة[9]

---

(١) اللوازم: الضرورات.

(٢) حوضت: أنسدت، طربقت. ـ وذم العرى: أربطتها.

(٣) الدغيلة: الخيانة.

(٤) عاني: قاصد. ـ النفيله: الشرف.

(٥) المغاتير: المواشي. ـ الضعن: الركب. ـ قبت شليله: أشارت بثوبها تستغيث.

(٦) الكايد: الظالم. ـ الميحان: الضعيف.

(٧) الهاجس: الخوف.

(٨) المردان: الشباب بدون شعر بوجوههم. ـ رهاف النصيلة: السيوف.

(٩) تردان: مشردون.

فرجـت كريـاً مـالي الـصدر بـأحزان — عـدي غـديت بـرأس رعلـه طويلـه[1]

لا القو فاد ولا نفع بعـــــد رنــــان — يـا وسـع جـودك يـا منـسي المخيلـة

هـم حقلـتي نقالـة الـسيف وسـنان — والميربــــيهم بالـــسنين المحيلـــة[2]

تــسعين ليلــه بــين مقعــد وفنجــان — دسـم القـرى يقلـط علـى كـل ليلـه[3]

يـنطح ثـرى الجـوزاء خـشم أم حـوران — ولا قلـــت إلا للتجـــارب حـــصيلة[4]

غنــوا بهــا يــاللي مــع الــدو ركبــان — مــا قــال أخــو نــوره كــلام هبيلــه

(حايل سنة ١٩٢٤ سلطان بن الرشيد)

((أخرج هذه القصائد ودبلجها شاعر الجبل والبادية أبو سليم حمد المصفي))

---

(١) رعله: مرتفع بارز.

(٢) حقلتي: أملي.

(٣) يقلط: يتقدم.

(٤) خشم أم حوران: كناية عن الجبل.

من معارك الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥

الكفر *** المزرعة

تعتبر الثورة السورية الكبرى التي تفجرت سنة ١٩٢٥ من أهم العوامل التي أدت لطرد الاستعمار الفرنسي وتحقيق الجلاء فيما بعد. لأنها تميزت بشمولها كافة المناطق في سوريا ولبنان وبمعاركها الضارية المتميزة عن كافة المعارك العربية بتحقيق النصر المبين الساحق للأعداء وقد قال الشاعر خير الدين الزركلي بمعركة المزرعة:

لو كان في ذي قار من شرف لنا فنحن اليوم في ذي قار

أما الشهبندر فيقول بمعركة الكفر ما يلي: كان لهذه الملحمة شأن خطير في تاريخ النهضة السورية:

أولاً: لأنها جعلت الثورة أمراً مبرماً لا رجوع عنه.

ثانياً: لأنها دلت على أن الحق الصريح ولو نقصته العدة والعدد قادر في كثير من الأحيان على مقاومة القوى العاتية ولو أيدتها الآلات الضخمة والجيوش الجرارة.

وقد خلد الكتاب والشعراء هذه المعارك بكثير من المقالات والقصائد خاصة القصائد الشعبية التي تغنى بالاحتفالات والمهرجانات وتثير الحماس كأهازيج حربية.

قصائد لمعركة الكفر

وقد خلد الكتاب والشعراء في المقالات والقصائد هذه المعركة، منها قصيدة الفن التي يغنيها خمسة أو ستة أشخاص في صف واحد يدورون حول نقطة محورية.

الشخص الأول هو القصاد يغني منفرداً ويردد البقية اللازمة وهي المقطع الأول مثل:

يـــا راكـــب ســـوهجاً فـــات[1] مـــــن بكــــار النجـــــديات

قـــــوطر[2] وديلـــــي كتـــــابي بالعجـــــل إيـــــاك تبـــــات

قلـــــــــو للفرنـــــــــساوي كنـــــو عــــالحرب نـــــاوي

مـــــش بعقـــــب المـــــساوي يزهـــــب ويطيلـــــع حمـــــلات

حملاتـــــو مــــــا بيلـــــهونا قـــــــروا لا تنكرونـــــــــا

بالكفرجريتونــــــــــــــا ســـبعة مـــــن القـــــواد ومـــــات

مـــــشوا علينـــــا هــــــا القوات تهـــــــدر معهــــا الــــــدبابات

وبالـــــــــسما هالطيـــــــارات مـــــــــدافع والرشاشــــــــات

أول حملـــــــــة جيناهــــــــا بـــــــــالكفر وليناهــــــــا[3]

بواريـــــــــد كـــــــــسبناها ومـــــــــدافع نقاليـــــــــات

روّح يتغطـــــرس نـــــور مـــــان يهـــــــدد بــــــذبح الفرســـــان

بريـــــع ســـــاعة بخـــــبر كـــــان هـــــو وعـــــسكر ومـــــا بـــــات

اسماعيـــــل بيـــــك وشـــــهاب صـــــقور مــــــصطفى يـــــنطح طــــــابور

كفــــــو[4] نــــصار البربـــــور جـــــاهم مـــــن كـــــل الجهـــــات

---

(١) السوهج: المطية السريعة - حصان أو ذلول.

(٢) قوطر: اذهب.

(٣) ولیناها: استولينا عليها.

(٤) كفو: فيه الكفاية.

ومن القصائد الجيدة التي قيلت في معركة الكفر قصيدة شاعر الثورة صالح عمار: " عرمان سالت عالكفر..."

وقد وصف الشاعر صالح عمار هذه المعارك بقصيدته المشهورة التي تعتبر من أهم الأغاني التي رددها الفرسان: "أغاني الخيل" ٢١ـ تموز ـ ١٩٢٥:

وصف ملحمة الكفر

البارحـــــة جانـــــا خـــــبر	ربـــــك فتـــــل دولابهـــــا
عرمـــــان ســـــالت عـــــالكفر	ذبـــــح العراضـــــي[1] دابهـــــا
وســـــرية[3] ملـــــح توطـــــا الخطـــــر	حـــــس المـــــصوت[2] جابهـــــا
فرســـــان لـــــو عجَّـــــه عكـــــر[4]	جمـــــع العـــــدا مـــــا تهابهـــــا
الحملـــــة غـــــدت مثـــــل الـــــشجر	لمـــــا غـــــوي حطابهـــــا
مـــــا ظـــــل منهـــــا ولا نفـــــر	وتـــــشالخوها[5] ذيابهـــــا
المقـــــرن القبلـــــي انتـــــصر	ضـــــربة خبطهـــــا[6] وصـــــابها
موريـــــل[7] بالقلعـــــة انحـــــصر	ســـــكر حـــــصون أبوابهـــــا

---

(١) الثورة السورية الوطنية ص ٣٢ الشهبندر

(٣) السرية: الجماعة.

(٢) المصوت: نذير الخطر.

(٤) عجَّه عكر: أثارت الغبار.

(٥) تشالخوها: قطعوها.

(٦) خبطها: رماها.

(٧) موريل: حاكم الجبل الفرنسي.

جـــرد علينــــا مـــن البحـــر عـــــساكراً وطوابهــــــا[1]

ســـــلطان عالـــصايح أمـــر صـــاح وجـــذبها وجابهـــا

وتقــــابلوا عنــــد العـــصر كثـــر العطـــب[2] بجنابهـــا

بـــرق ورعـــد هـــل المطـــر دم العـــــدا ســـــحابها

يـــا ذبحـــة شـــرقي بـــصر تـــاه القلـــم بحـــسابها

وســـيوف مـــن دم الحمـــر ترعـــف لحـــد نـــصابها[3]

ولينـــا[4] المـــدافع والزخـــر[5] ومـــــدرعات جابهـــا

قولـــون للـــي مـــا حـــضر حنـــا كفينـــا غيابهـــا

ســـلطان حريـــب الـــوزر نـــار الحـــرب شـــبَّابها[6]

لينـــا المراجـــل عـــن صـــغر[7] وليـــوث[8] تحمـــي غابهـــا

مرحـــوم مـــن زار القـــبر لحقوقنـــا طلابهـــا

يـــا مـــصطفى أنـــت القمـــر يـــا حيـــف زرت ترابهـــا

---

(١) طوابها: مدافعها.

(٢) العطب: الإصابات.

(٣) نصاب السيف: مقبضه.

(٤) ولينا: استولينا على.

(٥) الزخر: الذخائر.

(٦) شبابها: مولعها.

(٧) لينا: لنا.

(٨) ليوث : أسود.

صالح عمار أيضاً في جوفية

يـــا خـــالق علـــم الوكـــاد   وانتـــصب ســـوق المـــزاد[1]

وأســـعرت نـــار الحرايـــب   ثـــارت بكـــل البـــوادي

عاضـــدوا ســـلطان الأطـــرش   وانتخـــوا عيـــال النـــوادي

واعتلـــوا مـــن فـــوق ضـــمر   مثـــل غـــزلان الحمـــادي

والبيـــارق حمـــر تـــومي   تحتهـــا علـــق الحـــداد

يـــوم عـــالعين لفينـــا   وبـــالكفر صـــار الميعـــاد

مـــرقعين العـــبي[2] صـــالوا   كـــارهم[3] ذبـــح الأعـــادي

استبـــسلوا بربـــع ســـاعة   روحـــوا الحملـــة سمـــادي[4]

---

(١) سوق المزاد: سوق الحرب.

(٢) مرقعين العبي: عامة المقاتلين.

(٣) كارهم: عاداتهم.

(٤) روحوا الحملة سمادي: أي أبادوها.

بعض القصائد الشعبية لمعركة المزرعة

إن القصائد الشعبية التي قيلت بعد هذه المعركة كثيرة وكثيرة وكلها تقريباً من النوع الذي يغني على الرباب أو غناء خيل (أغاني الفرسان) أو أهازيج حربية (الجوفيات) أو قصائد فن.. وكلها تردد في المهرجانات والحفلات والأعراس. وكان الشاعر صالح عمار من أكثر الشعراء الذين ترددت قصائدهم في الموضوع علماً بأن قصائد نجم العباس كانت بليغة وغزيرة أيضاً : وهذه نماذج من تلك القصائد :

(**صالح عمار في قصيدة: يا الله يا رب القدار**)

قصيدة فن

يـــــا الله يـــــا رب القـــــــدار	**يـــــا خـــــالق مـــــوج البحـــــار**
تخمـــــــد نـــــــار الأعـــــــادي	**يـــــا ربــــــي تعـــــز الثـــــوار**
يـــــا ربــــــي تعـــــز الـــــدروز	**ع فرنـــــــسا خـــــذون الفـــــوز**
مـــــــدافع ومتـــــــورة لـــــــوز[1]	**وأحرقنـــــــا الدبابـــــــة بنـــــــار**
الدبابـــــــــة وأحرقناهـــــــــا	**والحملـــــــــة وليناهـــــــــا[2]**
والعـــــــــسكر خليناهـــــــــا	**مثـــــل الـــــشمايل وغمـــــار[3]**
مثـــــل الـــــشمايل صـــــاروا	**لمـــــا النـــــشاما[4] غـــــاروا**

(١) متر اليوز: سلاح يرمي الرصاص رشاً.

(٢) ولبناها: استولينا عليها.

(٣) الشمايل وغمار: القتلى فرادى ومجموعات على الأرض.

(٤) النشاما : الأبطال المغايرين.

والیتنانیـــــــــــة احتـــــــــاروا　　مــــن ضـــرب الــــسیف البتـــار

مــــن ضـــرب بـــني معـــروف　　مــــا ینحـــــاهم درب الخــــوف

یـــــا وقعـــــة تـــــل الخـــــروف　　تــــــشبه لوقعـــــــة ذي قـــــار

یـــــا وقعـــــة تـــــل الحدیـــــد　　تــــــسمع للمـــــوزر هویـــــد[1]

كــــسبنا مـــتر الیـــوز جدیـــد　　فرنــــساوي شـــغل الــــشطار

وأخــــتم قـــصیدي الغـــالي　　بحمـــــد الـــــرب العـــــالي

واللــــي بیـــصبر للتـــالي　　بیكـــسب مـــن قـــصید عمـــار

جوفیة

قمـت ابتـدي بالخطـاب　　عــالحرب قــايـ في بناهــا　　قمـت ابتـدي بالخطـاب

بـــيِّن حقـــوق الحـــراب　　واللـــي علینـــا أداهـــا　　بـــین حقـــوق الحـــراب

بـــالكفر مـــن أول بـــاب　　والحملـــة جاهـــا بلاهـــا　　بـــالكفر مـــن أول بـــاب

بارودهـــا والطـــواب　　بـــالعون علینـــا هـــداها　　بارودهـــا والطـــواب

عالمزرعـــة یـــا شـــباب　　منهـــوي مـــنكم نـــساها　　عالمزرعـــة یـــا شـــباب

وفرنـــسا صـــارت خـــراب　　بـــسلاحنا حطمناهـــا　　وفرنـــسا صـــارت خـــراب

اثنـــا عـــشر بالـــسحاب　　ولا كاتـب منهم حكاها　　اثنـــا عـــشر بالـــسحاب

---

(١) هوید: دوي ـ هدیر.

ســـــوريا أم العروبـــــة سـلطان بـسيفا حماهــا ســــــوريا أم العروبــــــة

نختمهــا بــرب الأريــاب هـــــالمعتلي بـــــسماها نختمهــا بــرب الأريــاب

ويفكنـــا مـــن العـــذاب والعــدو يقــصر مــداها ويفكنـــا مـــن العـــذاب

من ديوان صالح عمار: الديوان الشعبي بأسماء الشهداء المطبوع سنة ١٩٦١م:

جوفية

أرجوزة حماسية سريعة

يـــا الله ويللـــي حـــاجز مـــوج البحـــر يـــا معتلـــي لنـــك دعانـــا تـــسمع

تجعـــل ســـعدنا عاليـــاً فـــوق البـــشر قيـــدو منـــا يـــشبه شـــبيب التبـــع

لـــصار حنـــا نجـــوم وســـلطان القمـــر خمـــس طعـــش[1] نيـــسان ويـــوم يطلـــع

غربـــي الـــسجن عالمزرعـــة شـــرقي بـــصر الـــدم الفرنـــسي بـــالمواطي منقـــع

أهـــل نجـــران تفـــازعوا عنـــد العـــصر كـــسبوا الـــذخاير والكلـــل والمـــدفع

مـــشروبنا يـــوم اللقـــا الـــدم الحمـــر عـــدونا كـــاس الـــصبر يتجـــرع

يـــوم اللقـــا منفخـــت طبـــول الـــوزر وســـيوفنا بـــروس الأعـــادي قطـــع

كـــم فـــارس منـــا علـــى الخـــصم انحـــدر مثـــل الـــصواعق مـــع بـــروق تـــشلع

وقلوبنـــا يـــوم اللقـــا مثـــل الـــصخر صـــويبنا رد الوصـــايا ومـــا وعـــي

ميـــشو[2] هـــرب وترانكـــا[3] هـــج ومـــا صـــبر تركـــوا طـــوابير العـــساكر قطـــع

---

(١) خمس طعش: خمسة عشر.

(٢) ميشو: قائد الحملة الفرنسية.

(٣) ترانكا: قائد الحملة الفرنسية.

معركة بو زريق

يا الله يا للي عالم السر والخفا … عرشك تعلى فوق كل عراش

تعز ربعاً جاهدوا في بلادهم … يا خالق الدنيا سهل وحراش

من بعد ذا يا راكب هيزعيه … منوة غريب الدار والطراش[١]

تمد من عندي على الرحب والسعة … تلفي الأزرق قبل ضب دغاش[٢]

سلم على الباشا وخبر عطوفتو … أحكي الصحيح ولا تكون غشاش

كون جرى ببو زريق ما ينحكابو … والراس من رزم المدافع طاش

أول نهار لنا ولا هو علينا … بس الموازر همة الدفاش[٣]

وفعال ربعي مثل فعل الزناتي … ذياب ابن غانم مثلنا ما هاش[٤]

صمدنا كما تصمد سباع الكواسر … حاطوا بنا وعيًّا علي ينحاش[٥]

محمود ابن كيوان وولاد عمو … فزعوا من طلبلين عالرشاش

بقيصما ربعنا كثار وفوارس … لكن جمعهم عالحرب ما جاش

أما سبب تأخيرهم يا رفاقة … بنهار ريح وقالوا ما اسمعناش

---

(١) الهيزعيه: المركوب السريع.

(٢) ضب الدغاش: الظلام.

(٣) الدفاش: جرار البندقية.

(٤) هاش: قاتل.

(٥) عيًّا: أبى. ـ ينحاش: يقبض عليه.

دوح المعــــدل مثــــل كفــــي المخــــامر سمــع الرمــي مــن كــان بالوشــواش[1]

النــار مــا تحــرق ســوى مــان يدوســها ولا المعركــــة مثــــل الــــذي بفــــراش

اللــي حــضر بــالكون منــا كفــاهم ربعـــــي ذيــــاب وعاديــــة بكبــــاش

مــن بعــد مــا فزنــا علــيهم خففــوا والبــزر مــن جمــع العــدا حــشاش[2]

خمــسين رمكــه راحــت بكــرم واحــد مــن ضــرب مــوزر باللقــا مــا طــاش[3]

واختــم كلامــي بحمــد ربــي وخــالقي اللــي نظمهــا بظــنتي مــا اخطــاش

---

(١) دوح المعدل: صوت الرمي : إطلاق النار.

(٢) البزر: الرصاص. ـ حشاش: يحش ويحصد.

(٣) الرمكه: الفرس.

الباب الثاني

قصائد لها تاريخ لها حكاية

لكل قصيدة شعرية تاريخ أو حكاية أو مناسبة، لكن أهمية القصيدة تختلف باختلاف المناسبة، باختلاف المضمون باختلاف قدرتها على تصوير الواقع والوقائع التي تتناولها.

الفصل الأول

تاريخ الجبل وصراع الأجيال

في قصيدة نجم العباس

وهي قصيدة تلخص تاريخ الجبل، تصور المواقع التي خاضها أبناء الجبل بمعارك دامية خاصة ضد المستعمرين الأتراك والفرنسيين، كما تبين الصراع بين القديم والحديث، صراع الأجيال بين جيل السلف وجيل الخلف بين الآباء والأبناء، صراع اجتماعي بين جيل الشباب وجيل المسنين، لكن هذا الصراع الاجتماعي من نوع الحرب الباردة التي يحاول فيها كل جيل الهيمنة والسيطرة على الجيل الآخر.

الشباب بسلاح العلم والمعرفة والحنكة السياسية، والشيوخ بسلاح الفروسية والشجاعة والبطولة حيث تسمع بتعابيرهم قعقعة السيوف وصهيل الخيول ورزم المدافع إلى جانب رؤية شهب البارود وعجاج المعارك.

وكيف إذا كانت هذه التعابير لابن الجبل أبو فرحان نجم العباس الذي شارك بكثير من هذه المعارك وعاش هذا الصراع، ثم راح يصور تجاربه وأحاسيسه بتعابير وقصائد فاضت بها القريحة المتمرسة؟ فكان له ديوان كامل بالإضافة لعدة قصائد أخرى مكتوبة هنا وهناك ومحفوظة يتداولها الناس فيغنونها على الربابة أو في الحفلات ويتمثلها الكثير سلوكاً وعملاً.

ففي سهرة مختلطة للشيوخ والشباب اليافعين في إحدى المضافات. أخذ الشباب بالتنقير على الشيوخ المسنين بإبراز عضلاتهم العلمية يتحدون معارف المسنين مثل السؤال التالي: كم عندك يا شيخ من صرافة المئة؟ بدلاً من السؤال. كم عمرك؟ للتباهي بعلم الحساب وتعجيز الشيوخ. وشاب آخر يقول نحن نحفظ جميع القوانين المدنية والدولية والمشايخ ما زالوا على القضاء العشائري والقوانين العشائرية. مما أثار بنفس الشاعر لواعج الفكر والحنين إلى الماضي، فلم يتمكن من النوم بعد هذه السهرة حتى نظم هذه القصيدة التاريخية الخالدة. يرد فيها على الشباب الذين

حاولوا تحدي الشيوخ المسنين ويلخص فيها تاريخ الجبل ومعارك البطولة التي جعلت هذا التاريخ باهياً مشرقاً.

قصيدة تاريخ الجبل وصراع الأجيال **نجم العباس**

البارحة قضّيت أنا الليل تكهين	مسقوم أحاول عنةً باثر عنه[١]
من كثرة التفكير ما غض لي عين	عايف حياتي من زمان غشنا[٢]
ما عاد يطربنا دلال وفناجين	عهد سلف هيهات يرجع مثنى[٣]
عهد محفظ ما عرفنا غداوين	يحرز ثكالى ملوعة يندبنّ[٤]
صاروا يطخوا عالشيوخ القديمين	وسور الجبل مبنى على ساسهنّ[٥]
كنا على نطق العدالي صريحين	نقضي ونمضي ولا حدا مل منا[٦]
ندقم عدانا ولا نحيّك تلاوين	ولا نهدف إلا بس خدمة وطنا[٧]
صاروا يشيروا بالرمز عالمسنين	يا ريتهم صاروا مثل يوم كنا[٨]
كنا بذاك الدور نحشم هل الدين	من ساسنا للحين مش بس كنا[٩]
كنا ثقال الروز ما احنا خفيفين	عالضيم الأقشر ما يطبّق جفنا[١٠]
هم اعتنوا بكتاب نص القوانين	لو نعتني كان الجبل ضاع منا[١١]
من يوم كثر الهيلمي والتعانين	ما عاد نعرف قيسهم من يمنا[١٢]
بالصيرمي نشفي قلوبا مغلين	والقسوري ينهاب لو بان سنا[١٣]
عاداتنا فك العقد والمساجين	ولا عمرنا بمنزل الجار خنا[١٤]

نـنطح جمـوع بموقـف الحـرج صـلفين والحـــي مـــنهم بالفـــشل ينكفنـــا[١٥]

يـا كـم وزر وملـوك كـانوا عظـيمين مـــن فعلنـــا اســـتعمارهم زال عنـــا[١٦]

كنـــا بـــسطوتنا نعـــذي الـــدخيلين فرسـان بـشناق الجبـل كـم طعنـا[١٧]

كنـــا عنـــد كـــل العـــشاير مهمـــين بـشق الفجـر نعطـي الـسبايا الأعنـة[١٨]

يـــا مـــا غمـــدنا ســـيوفنا بالمكـــامين نطلـق شـفير الـسيف يرجـع محنـا[١٩]

يامـــا هـــدمنا قـــلاع شمـــخ حـــصينين يـــوم الحـــرب بكتابنـــا المـــوت ســـنا[٢٠]

أرواحنـــا لأجـــل الـــوطن نرخـــصه ديـــن الـــنعش مـــوزر والبيـــارق كفنـــا[٢١]

واليـــاسمع علـــم النـــذر ابـــن تـــسعين قـــوطر فزيـــع وعزوتـــو مـــا استنـــا[٢٢]

يـــوم الـــسمير تجـــاوز حـــدود ذيـــبين خـــش القريـــا وكثـــر الـــذبح منـــا[٢٣]

قمنـــا علـــيهم بالقحـــاطي طلـــب ديـــن ســـبعة وثمـــاني عـــن فردنـــا دفنـــا[٢٤]

دولـــة بـــني عثمـــان كـــانوا ســـلاطين جـــردوا علينـــا قـــصدهم يعدمنـــا[٢٥]

صـحنا بهـم يـا غـيرة الـوطن والـدين راحـــوا قطـــايع والقلـــع هدمـــن[٢٦]

والمزرعـــة أعبـــق سماهـــا دخـــاخين عـــشرة آلاف منظمـــة عدادهـــن[٢٧]

جـــروا المـــدافع والزخـــر بـــالفراكين والطيـــارات محلقـــة فـــوق منـــا[٢٨]

قمنـــا خفـــف وثبـــة ســـباع جـــايعين لا مـــا غـــدو نـــسبة لجايـــا بوطنـــا[٢٩]

مـــا عـــاد عرفـــوا حـــالهم ويـــن ومـــنين واللـــي غنـــم بالمعـــدات حنـــا[٣٠]

حتى استدينا عن الشخص خمسين   نعم السداد وزاد لهم طول عنا [٣١]

دوراً سلف بالطيب والعين والزين   وياما عذارى خضبوا الكف حنا [٣٢]

نحنا بني معروف بالكون صلفين   وكل من قصدنا بالغبن خاب ظنه [٣٣]

نأخذ سداد الثار حيناً بعد حين   ياما عساكر بقلعها سجنا [٣٤]

دحام ثورنا بنجعه براكين   كل ما جناه أجدادهم صار عنا [٣٥]

عملوا قطايع بوق ذبح المنيعين   غلة خونهم كيلوا بصاعهن [٣٦]

صنا الجبل بسلاح جفت وقرابين   متعاملين الحرب فرضاً وسناً [٣٧]

من حد غرز الدين لحد زهر الدين   جبلنا منيع بالقساور تكنا [٣٨]

وأجدادنا عانوا علي بحرب صفين   كانوا العتاد وبيرق النصر هنا [٣٩]

ونحنا على حفظ اللوازم حريصين   تحت الظلم والسيطرة ما سكنا [٤٠]

اليوم صاروا ينسبونا مجانين   ونبكي دماً صافي على كيف كنا [٤١]

نندب زمان الفات يا حيف يا حين   سرية خدم للضيف والسيف كنا [٤٢]

عيشوا بضحايانا سنيناً عديدين   وضعونكم لا بد تلحق ضعنا [٤٣]

حنا منانا دوم تبقو عزيزين   عسى تجيبوا بدوركم زود عنا [٤٤]

وما هو طلبنا غير تبقوا مكرمين   في جو عالي حيث البذار حنا [٤٥]

والحمد للي اسمه هاولامين   مشرف على النوعين نار وجنة [٤٦]

شرح المفردات:

١ ـ مسقوم: معتل مريض. ٢ ـ عايف حياتي: يائس. غَشِنًّا: سيطر علينا. ٣ ـ هيهات: مستحيل. ٤ ـ يحرز: يستحق. يندبن: يتأسفن عليه. ٥ ـ سور الجبل: سياجه. ٧ ـ ندقم: نجابه بحزم. ٩ ـ هل الدين: المتدينين أو أهل الدين. ١٠ ـ ثقال الروز: عقلنا راجح. الأقشر: القاسي الصعب. ١٢ ـ الهيلمي والتعانين: الظنون والتردد. ١٣ ـ الصيرمي: السيف. القسوري: الأسد. ١٥ ـ صلفين: شجعان. ينكف: يعود. ١٧ ـ السطوة: شدة البأس. نفدي الدخيلين: نحميهم. شناق الجبل: تخوم الجبل. ١٨ ـ السبايا: الخيول المكسوبة. الأعنة: جمع عنان وهو الرسن. ١٩ ـ شطير السيف: نصله. ٢١ ـ الموزر: بنادق الرصاص. ٢٢ ـ العزوة: الأسرة والأقرباء. ٢٣ ـ خش: دخل. ٢٤ ـ القحاطي: أسم مكان. طلب دين: سداد الثأر. ٢٨ ـ الزخر: الذخيرة. الفراكين: عربات القطار. ٢٩ ـ قمنا خفف: وثبنا سريعاً. ٣٠ ـ غنم: كسب. ٣٢ ـ العين والزين: العز. ٣٣ ـ الغبن: الضغينة. ٣٦ ـ الصاع: مكيال للحبوب يساوي ١٠ كغ حنطة. المنيعين: الأسرى. ٣٧ ـ الجفت: بندقية مزدوجة السبطانة. القرابين: بنادق خردق قصيرة. ٣٨ ـ من حد غرز الدين: من جنوب الجبل خربة عواد فيها آل غرز الدين. لحد زهر الدين: شمال الجبل الصورة الكبيرة وفيها آل زهر الدين. ٤٣ ـ الضعن: الركب الراحل. ٤٦ ـ هاو لامين: الله.

بعض شعراء الجبل في ندوة شعر عن المرأة البعض يهجو والبعض يمدح

١ ـ الشاعر حامد العقباني: يصف المرأة ويتهجم عليها. علماً بأن أكثر قصائده الغزلية مكتوبة لفتاة أحلامه على ورق الورد وربما يهاجمها هنا في لحظة غضب عليها:

يا صباح الشوم يا صبح الثلاثا	**من شهر تموز هذا اليوم كبه**[١]
والرجل هلي يأمن للأناثه	**مثل الذي يأمن على الأفعى بعبه**[٢]
من صفاهم كان في سبخة حراثه	**ما استفاد إلا الملامه والمسبه**[٣]
يوم عندك صبح آخر في الدياثه	**يوم ثالث علمهن داخل أوروبا**[٤]

شرح المفردات:

١ ـ كبه: ارمِه. أول ثلاثا بتموز يوم شؤم. ٢ ـ العب: تحت القميص. ٣ ـ السبخة: الأرض الصخرية. ٤-الدياثه: مكان في البادية.

هذا المقطع من قصيدة طويلة بدأ بها العقباني. وقام آخرون يردون عليها بنفس البحر والقافية.

٢ ـ الشاعر تركي الأباظة قال

قلبهن مصروف مطوي عالخباثة	**حرت أنا ما أوجدت للخفرات طبه**
هرجهن معسول من ثمرة جتاثة	**عهدهن مفشول والويلات خبا**[١]
عاقل ال ما زاد فيهم اكتراثه	**والهنا لمن عافهن من حين شبا**[٢]
ريقهن ياسم رقطا بالنفاثة	**هلْ نست أن تقتلك عالحول تبه**[٣]

شرح المفردات:

١ ـ ثمرة جتاثة: بلح مشهور. ٢ ـ شب: نشأ وترعرع. ٣ ـ بالنفاثة: أي كالحية الرقطاء تنفث سمها.

٣ ــ السيد محمد أبو خير نفس القافية

وجـــودهن بالـــدني لأجـــل الغثاثـــة   في الكتـــاب الـــرب عـــنهن كودنبَّـــا

كود: مؤكد. نبّا: أنبأ، أخبر.

٤ ــ السيد حامد العبد الله

بعـــضهن طيبـــات مـــن حداثـــه   ودونهـــن مـــا ظـــن عابـــد راد ربـــه

البيـــت مـــا يحفـــظ بليـــاهن أثاثـــه   وكـــل عاقـــل برضاهـــن تربـــى

والحنـــو واللطـــف فـــيهن بالوراثـــة   ويـــل مـــن ينكـــر علـــى الأمهـــات حبـــه

وكـــل مـــن مـــا ودهـــن مـــا بـــو حثاثـــة   ذاك خامـــل ريحـــه مـــا ظـــن تهبـــه

والأرض كم مرة المعبود غاثه   مـــن دعاهـــم سمـــع دوم وكـــان لبـــى

٥ ــ الشيخ أبو محمد نصر الدين رزق. على نفس القافية

كـــل منكـــر للنـــسا بـــالقول لاثـــه   كيـــف تنكـــر والـــدي وأيـــدك بعبـــه

ريقهـــن ســـكر بليمـــون ماثـــه   وكـــل مـــن يرشـــف لمـــا هـــن زاد عبـــه

٦ ــ الشيخ حسين طربيه

عـــشرة المحبـــوب المابـــه غثاثـــة   خـــير لـــذة لـــو كنـــت بـــالعمر تربـــه

٧ ــ أبو جابر محمد رضوان

المـــا يريـــد الغيـــد عـــده مـــن الخناثـــة   بقـــاع بـــير مـــن البلايـــا صـــاح دبـــه

٨ ــ حسن

والمـــصائب لـــو تـــدقق بانبعاثـــه   بنـــات حـــوى نارهـــا دومـــاً تـــشبه

طبـــائع النـــسوان بوحـــدات الوراثـــه   وحدي عسل وحدي علقم وحدي مربى

الفصل الثاني

شبلي الأطرش

زعيم من زعماء الجبل ومن القادة المتنورين في عهد الظلم والظلام والاحتلال التركي الغاشم الثقيل في الوطن العربي. عاصر الحركة العامية في الجبل في أواخر القرن التاسع عشر ١٨٩٠ ـ فكان مرة معها كزعيم شعبي ضد أخيه إبراهيم الأطرش الذي وصفه " أبو طربوش" لمسيره في كنف السلطة التركية ومحالفتها، ومرة عليها يُشهِّر بتخبطها بالفوضى والاضطراب والجهل، اشتهر بمواقفه الثابتة الصلبة ضد الاحتلال التركي ودفاعه عن الحق والحرية والعدل. ونظم القصائد الطويلة في النصح والإرشاد والدعوى للدفاع عن الحرية والاستقلال وحماية الوطن من الغزاة الآبقين الهمج المتحكمين بالبلاد والعباد بالظلم والوحشية والاستبداد وقد عانى الكثير في السجن والمنفى والاغتراب ببلاد الأناضول والحجز في الجزر التركية البحرية وقلاعهم المحصنة المهجورة من سيناب إلى سالونيك إلى عينتاب فقسطموني. حيث تدفقت هواجسه قصائد وأشعار شروقي وزجل ومطاليع وعتابا وقصائد فن. فيها الأدب الرفيع والفخر والحماسة والمدح والشكوى والوصف والغزل ومختلف فنون الأدب.

وقصائده من السجن تشبه الروميات لأبي فراس الحمداني. كما أننا نصادف ببعضها الالتزام مثل لزوميات المعري والمخمس المردوف وغيرها.

وقد اتبع ببناء القصيدة عاموداً خاصاً به يختلف نسبياً عن عامود الشعر القديم فهو يبدأ غالباً باسم الله القادر الخالق المدبر، ثم يصف حاله وما يقاسي من عذاب وألم وضعف في مكان تنظيم القصيدة وأخيراً يشد ركباً أو اكثر حتى عشرة ركائب أحياناً يدرجها من مكان سجنه لتسير من مدينة إلى أخرى يجديها الطريق حتى تصل المرسلة إليه القصيدة في سجن الشام أو تونس أو طرابلس أو أهالي الجبل وأخيراً يشرح الغرض الذي يريده..

و سنذكر من ديوانه قصيدة الدار ثم إحدى القصائد الألفية المرتبة حسب الأحرف الهجائية:

قصيدة الدار **شبلي الأطرش**

يا دار قلبي دايم الدوم يطريك[1] وإن نمت أشوفك بالهواجيس يا دار

يا دار ما ظنيت عالعمر نجزيك[2] لكن حكم الله على الخلق ينـدار

يا دار رحنا بالممالك تشاريك[3] ما تندبينا بتناويح وأشعار

يا كبر همي إن كان غيري مراعيك[4] وحنا بحبس الروم جوات البحار

وأنا أتذكر شوفتي لجواريك اللي لمع خدودهن مثل القمار

يا ما حلا جمع الرفاق بعلاليك[5] والبن يزهى والفناجين دوار

يا دار كنت من القبائل معذيك[6] ولاني بحال اللي على الحرب صبار

لعبوا بك الحساد وأهل التحاريك[7] لا ما غديت للمخاليق معيار

يا دار كانوا ينحروك المهاليك وكنت مزار ودايم الدوم ينزار

كم أمير وبيك ياما احتمى بيك من ديرة ابن سعود لبلاد سنجار

سطام بن شعلان جانا احتمى بيك يومن لفى من ضيقة الحبس فرار

من قبل فيصل وابن دوخي ودواليك وأهل الشمال اللي على الخيل شطار

ما عمر طوط[8] الروم خوف أهاليك ولا يوم بتي بهواجيس وأفكار

كثرت شيوخك قام ربك يجازيك سلط عليك الترك صلفين الشوار

عفنـاك لـو كـان النفـل بمفاليــك[٩] ... من يوم شاخ البيك أبو سيف جرار[١٠]

شـاخ الأبـازة وابـن صـوان والـديك ... شـيخ الـقريا ولـد غنـاج مختـار[١١]

شـاخوا الـشباب ولزموهـا المداريـك ... أهـل المعـاني مالـهم ملـك وجـذار[١٢]

أهـل العهـد بلاعـة الحجـج ذوليـك ... قـامت تثارينـا بـثارات عمـار[١٣]

والله لـولا الخلـف مـا ظـن يوليـك[١٤] ... لا وحـق ربـي خالـق الخلـق قهـار

لـو جردوهـا مـن حلـب للكـرك ذيـك ... وجـابوا عراضـي مـع طـوابير وأنفـار

لكـن حـسبي الله عَ مـن فـسد بيـك ... رايـاتهم عنـدي مـن الجـاز[١٥] وشـحار

مـن بعـد ذا يـا راكـب اللـي تواتيـك[١٦] ... حـراً زعـاع[١٧] وعـدها الطـير لـو طـار

إنـسف عليهـا شـدادها والمباريـك[١٨] ... وأكـرب بطانهـا مـع حقبهـا والوسـار

خـرج العقيلـي زاهيـاً بالتحابيـك ... شـغل الطمـوح لـشوقها بـريش وزرار

مـن بعـدها يـا طارشـي[١٩] أريـد وصيك ... خوذ الزهـاب[٢٠] المـا يتركـب على النـار

إن ثوعـث عقـب المنـاخ ومباريـك ... زيـن النظـر دوبـو يحـوك[٢١] بالأبـصار

وتمـد مـن عنـدي تـدور مـشاحيك[٢٢] ... مـن أزمـير دربـك يـا فتـى الجـود دوار

منهـا علـى قونيـا عـسى الله يهـديك ... دربـك يمـين وحـط مـرعش عاليـسار

عـديار بكـر ومـاردين بمحاريـك ... عَ حلـب الـشهبا عقـب شـهر ونهـار

حمـص وحمـاه وانحـر الـشام قبليـك ... وسنِّد[٢٣] على اللـي يكرمـوا الضيف لوزار

مـن عقـب ربعـات[24] الفـرج والمهاليـك		تلفـي عريـع يطبخـوا الـبن و بهـار

جبلـي علـوم خبـار هـك المعاريـك		يـا هـالترى بغيابنـا شـو جـرى وصـار

مرحـوم يللـي حاضـر الكـون هونيـك		يـسكن عـدن بيهـا بـساتين وثمـار

أهـل المعـاني مثـل زمـل المعاريـك		يـا رب لا تـثلم علـى كـل شـوار

يـا الله تفـك بلادنـا بجـاه نبيـك		المـصطفى مـن كـل ظـالم وجبـار

شرح المفردات:

١ ـ يطريك: يذكرك. ٢ ـ نجزيك: نغادرك. ٣ ـ تشارك: ضياع. ٤ ـ مراعيك: مراقبك.٥ ـ علاليك: الغرف العالية. ٦ ـ معذبك: مخلصك. ٧ ـ التحاريك: الفساد. ٨ ـ الطوط: البوق.٩ ـ مغاليك: مراعيك. ١٠ ـ أبو سيف جرار: هو حمد الكريدي، من قادة العامية. ١١- الأبازة: ابن صوان ـ الديك ـ ولد غناج: أسماء متزعمين من العامة. ١٢ ـ المداريك: الأخطار، الجذار: الأرض القريبة. ١٣ ـ أهل الحجج بلاعة العهد: كناية عن المراوغين. ١٤ ـ يوليك: يتولى عليك. ١٥ ـ الجاز: زيت الكاز. ١٦ ـ تواتيك: تناسبك. ١٧- زعاع: سريع. ١٨ ـ المباريك والحقب والوسار: أجزاء من شداد الركوب. ١٩ ـ طارشي: رسولي. ٢٠- الزهاب: الطعام.٢١- دبو يحوك: بالكاديري. ٢٢ ـ مشاحيك: مقاصدك. ٢٣ ـ سند: عرج. ٢٤- ربعات: مواقع.

ألفية شبلي الأطرش تصف بعض الرجال وبعض خصالهم

عـــالألف ألفـــت المعـــاني لطالبـــة ... مــن خـاض بحـراً بالمخـاض وغـيص[(١)]

يـا سـامعين القـول أصـغوا لقـصتي ... وشــوفوا معانيهـا مــع التـشخيص[(٢)]

البـــاء بِـــرك لا تبطـــل لبذلـــو ... واضـــب لبنـــك دوم بالتحميـــس[(٣)]

درب البخـل يـا صـاح عـار علـى الفتـى ... مــن غـير مـا يقولـوا فـلان خـسيس[(٤)]

التـــاء لا تـــأمن علـــى المـــال خـــاين ... لـو تحلّفـوا عنـدو الـيمين رخـيص[(٥)]

ردي الخـــصال مـــا يغـــير طريقتـــو ... الطبــع تحــت الــروح بالتخــصيص[(٦)]

الثـاء ثبـت لفـظ فمـك عـن الزلـل ... واحـــذر مـــن التزويــد والتنقيــص[(٧)]

لا شـك درب الكـذب عـار علـى الفتـى ... مــن خـاس حكيـوا بالرجـال يخـيس[(٨)]

الجـيم جـارك لا تجافيـه وتجحـدوا ... ولا يجحــد الجــيران غــير إبليـــس[(٩)]

وصـــى الـــنبي بالجـــار مـــن دور آدم ... وحيـــي كـــلام الغـــانمين نفيـــس[(١٠)]

الحــاء حيــي الـضيف أن جــاك زايــر ... اضــحك بوجهــو لا تكــون عبــيس[(١١)]

الأجواد مثل الروض يزهو على الندى ... والأنـــذال صــمانة محــل ويبيــس[(١٢)]

الخـاء خلـي النـاس تـذكر خـصايلك ... بـــالخير مـــا هـــو بكـــلام بخيـــس[(١٣)]

عــرض الفتــى مثـل القـزاز إذا انـشعر ... واحـرص علـى عرضـك مـن التـدنيس[(١٤)]

الــدال داري النـــاس تـــأمن شـــرورهم ... خذ ما استحسنت من الأنـام جلـيس[(١٥)]

مــنهم أسـد ريبــال يعجبــك بالعطــا ... منهـــم حمـــار وبعـــد فيهـــم تيـــس[(١٦)]

الـــــذال ذل الــــنفس لله وحــــــده	يمحــص ذنوبــك في غــد تمحيــص[١٧]
الــنفس مثــل النــار لــو هبهــا الهــوى	بتـــشعل الأخـــضر مـــع اليبيـــس[١٨]
الــراء راح العمــر ولّــى مــع الــصبا	وعيش الفتى عقب الشباب نغيص[١٩]
يــا حلــو أيــام الــصبا يــا رفاقتــي	فــيهم عنـــودات الأبـــكار تميـــس[٢٠]
الــزاي زودهــا مـــن الخــير واجتنــب	واحـرص على نفسك مـن التدليـس[٢١]
ولــو تــشير عليــك بــالخير يــا فتــى	فـــالهم متلبـــس بـــها تلبيـــس[٢٢]
الــسين ســيفك لا يفــارق وســادتك	خليـك فـرز مـن الرجــال حريـص[٢٣]
تــرى عــدوك مــا يــترك عــداوتو	بالليـــل يـــسري وبالنهـــار ينيـــس[٢٤]
الــشين أهــل الــشور تعمــر بلادهــم	ويخــرب بــلاد العــامرة التخبيــص[٢٥]
أحنــا الــذي مــن يــوم كثــرت شــوارنا	رحنـــا قطـــايع والمليـــح حبيـــس[٢٦]

شرح المفردات:

١ ـ المخاض: مكان الخوض من الماء أو الوحل أو الفكر. ـ وغيص: صعب. ـ معقد: مبهم. ٢ ـ شوفوا: انظروا. ـ التشخيص : التمثيل. ٣ ـ البر : الإحسان. ـ البذل: العطاء. ـ واضب: تابع. ـ التحميس: الشي للقهوة وللبن. ٤ ـ العار: العيب. ـ خسيس: دنيء. ٥-٦- اليمين: الإيمان. ـ الطبع تحت الروح بالتخصيص: أي الطبع وراثي. الطبع غلب التطبع. ٧-٨- الزلل: الكذب. ـ حكيه أي كلامه. ٩ ـ تجافيه: تفارقه. ـ تجحده: تبتعد عنه. ١٠-١١- الغانمين: الكرام. ـ نفيس: ثمين. ـ عبيس: متجهم عكس ضاحك. ١٢- الأنذال: الخسيسون. ـ صمانه: جَلَد صخر لا يزرع ـ محل و يبيس: جاف لا يعطي غله. ـ ١٣-١٤- خصايلك: صفاتك. ـ بخيس: معيب. ـ عرض الفتى: شرفه. ـ التدنيس: التلوث. ١٥-١٦- داري: جامل. ـ الأنام: الناس. ـ الريبال: الأسد. ـ التيس: ذكر الماعز. ١٧- يمحص: يفحص. ١٨- اليبيس: الناس. ١٩- نغيص: نغصه وحسرة. ٢٠- العنود: الغزال.- تميس: تتمايل. ٢١- التلبيس: إخفاء الحقيقة. ـ تلبس بها:

لابسها. ٢٤- حريص: حذر. ٢٥- ينيس: يختفي. ٢٦ ـ التخبيص: عدم التنظيم. ٢٧- حبيس: سجين.

الصاد صون السر عن ساير الملا	وخلي مخاضك عالرجال وغيص(١)
لا تأمن الغدار بالناس تندم	مثل الحصيني دايماً بليص(٢)
الضاد ضليلين العقول المعارة	عمرك بعشرتهم يروح نغيص(٣)
ما يعرفون الطوط أصله من البصل	ولا يعرفوا الجمعة من الخميس(٤)
الطاء طب الجسم بقلة الأكل	طب النفوس الحفظ والتدريس(٥)
والله يحصي للخلايق أعمارهم	وما ظن ميزان الحساب يخيس(٦)
الظاء لا تظلم ترى الله يظلمك	وبعد الصعود يحدرك تنكيس(٧)
خيار الفتى جزام عزام عالصعاب	غفار زلات الصديق أنيس(٨)
العين عادات الكرام النفايل	يعطوا الكحيلة والمهر والسيس(٩)
أما ردي الخال تظهر رذايله	لو خيطولو فروتو بمصيص(١٠)
الغين غربتنا برودس وغيرها	وباكريت جوات البحور نغيص(١١)
عسى الله يفرجها ونرجع جميعنا	ولا درب عرب العباد وغيص(١٢)
الفاء فيهم مثل أجود بالعطا	وأن شاف جوده حل باب الكيس(١٣)
وفيهم سراباً بزيزتاً سمهداني	شاطر بكثر الحكي والتلميس(١٤)
القاف قلنا الصبر يشفي من العلل	صبرنا كما تصبر سوادي العيس(١٥)

نرجـــو بـــأن الله يجمـــع شـــملنا ويردنـــــا عَ بلادنـــــا تنكيـــــس[١٦]

الكــــاف كـــن بقـــسمة الله راضـــي ورزقـك مـن الـدنيا كفـن وقمـيص[١٧]

لـو تملـك ألـف مليـون مـن الـذهب لا بـــد تـــسكن بـــاللحود رميـــس[١٨]

الـــلام لم الـــشمل مـــا بـــين المـــلا وخليـــك ســـيد عـــالجميع رئـــيس[١٩]

مـــن يـــأمن الـــدنيا يـــذوق غبونهـــا يـرى الـصبح ظلمـة بالـسواد دمـيس[٢٠]

المـــيم مـــــن لا يتقـــي الله ينـــــدم انظـــر إلى يعقـــوب أخـــاه العـــيص[٢١]

العـيص جـاب البـدو دربـو علـى الـشقا ويعقـوب جـاب النـاس سبط نفـيس[٢٢]

النـــون نـــار الوجـــد تكـــوي ضـــمايري مـــن الـــشوق عـــدّنّي لـــسيع قـــريص[٢٣]

أن كنـــت أنـــا يقظـــان أراعـــي خيـــالهم وأن نمـــت أشـــوفهم بالمنـــام هديـــس[٢٤]

الهـــاء هـــداك الله خـــذلي رســـالتي عظهـــر ســـلطان الطيـــور خـــصيص[٢٥]

نـــسر علـــى شـــيل الرســـايل مجـــرب مـــن عهـــد ســـيدنا الإمـــام إدريـــس[٢٦]

الـــواو وديهـــا علـــى ديـــرة أهلنـــا وصـي الجميـع أصحـا الكلام يخيس[٢٧]

مـــن يـــأمن الأتـــراك يـــصبح مثلنـــا بالليـــل يـــذرع وبالنهـــار يقيـــس[٢٨]

اليـــاء يهـــودي مـــن يـــأمن التركـــي بـــلا شـــك الـــترك جنـــس نجيـــس[٢٩]

صـلوا علـى مـن شـرف الأرض ذكـره محمـد الـمختار وأخـزوا أبليـس[٣٠]

شرح المفردات:

١ ـ صون: صن، أحفظ ـ وغيض: مبهم. ٢ ـ الحصيني: الثعلب. بليص: يميح، يختفي. ٣ ـ ضليل العقل: تايه. المعاره: يديره كلام الغير. نغيص: نغصه، حسره. ٦ ـ يخيس ينقص. ٤ ـ الطوط: ساق البصل. ٧ ـ يحدرك: ينزلك. ٨ ـ غفار زلات: يسمح عن الخطايا. ٩ ـ النفايل: الكرام. ١٠ ـ المصيص: خيوط من قشر القنب. ١١ ـ نغيص: نغرق. ١٢ ـ وغيص: صعب. ١٣ ـ جودة: حسنة، كرمة. ١٤ ـ السراب: المنظر الخداع. التلميس: التموية. ١٥ ـ سوادي العيس: النوق. ١٨ ـ رميس: مقبور . ١٩ ـ الملا: الناس. ٢٠ ـ غبونها: همومها. دميس: مظلم. ٢٣ ـ الوجد: الشوق والهيام. لسيع قريص: ملدوغ من كائن مسم. ٢٧ ـ أصحا: احذر، توصية. ٢٨ ـ يقيس: عمله بدون فائدة. ٢٩ ـ جنس نجيس: دنيء. ٣٠ ـ اخزوا: العنوا. ٢١ ـ ٢٢ـ في هذا المقطع يذكر أخوين هما يعقوب يتقي الله، ذريته وأبناؤه سبط ، نفيس. والعيص أخوه الذي لا يتقي الله، ذريته وأبناؤه أشقياء مشردون.

وقال شبلي الأطرش متغزلا فأبدع وأجاد بهذه القصيدة

يــا الله يــا رب القــدر يــا عالـــي	يــا منجــد المنــضام تــرحم حــالي
يــا منجــد المنــضام تــرحم ذلــي	بجــاه الــنبي المــصطفى المفــضالي
بجــاه الــنبي المــصطفى واصــحابو	تــرحم لمــن فــارق جميــع أصــحابو
يــا طارشــي خـذ لــي الـسلام لـصحابو	وأقــري التحيــة للوليــف الغــالي[1]
وأقــري الــسلام للوليــف الغايــب	نجــم الــسعد مــن عقــب نــورو غايــب
عفرقتــك عقلــي ورشــدي غايــب	مــالي فــرج غــير الــدمع ســيالي
مــالي فــرج غــير الــدمع خــاف الله	الله يجــــازي الفرقــــونا اللـــــه
يــا حلــو فيمــا بيننــا عهــد اللــه	واللــي يخــون العهــد مــالو تــالي
واللــي يخــون العهــد الله يخونــو	وأبــديت أوصــف قــامتو وفنونــو

(١) الطارش: المار بالصدفة

عيــون الفهــد يــوم ان تــشوف عيونــو والهـدب مـن ريـش الظلـيم الغـالي[1]

والهــدب مــن ريــش الظلــيم الأسمــر والخــد جــوري يــوم فــتح أحمــر

والفــم خـــاتم صـــانعينو مـــدور وســنونها لولــو مــن المــشلالي[2]

وســنونها مثـــل الــبرد واللولـــو وجعودهــا سمــر الحنــيش وطولــو[3]

والــرأس يلبقلــو الــذهب حطولــو وجبينهــا مثـــل البـــدر شعالـــي

مثــل البــدر صــدغ الوليــف الطــالع والطـول غـصن البـان عَ أمـو طـالع[4]

والعنــق عنــق الــريم يــوم أن طــالع فيــه العقــود محبكــات شلالـــي[5]

فيــه العقــود محبكــات وشفافـــو مثــل الــورد قبــل أن يحــل قطــافو

مـــع عانـــة الغـــزلان يـــامن شـــافو ريقــو مثــل قطــر الــشهد عــسالي[6]

ريقــه مثــل قطــر الــشهد يحلالـــي والــصدر يــا لــوح الرخــام الغــالي

ونهـــود مثـــل الجـــوهر الـــشعالي مــن فــوقهم ثــوب الحريــر رفالـــي[7]

---

(١) الظليم النعامة

(٢) المشلال: المشكاك أو الحزمة.

(٣) الحنيش: ذكر الأفعى الأسود.

(٤) عً أمو طالع: أي طبيعي.

(٥) شلال: شبك.

(٦) عسالي: حلو كالعسل.

(٧) رفال: أي يرفل.

من فوقهم ثوب الملس والستري ... ضامر مثل عنق الغزال الخصري[1]

نيال من ضم الحلو للصدر ... يذهب إلى الجنة بغير سؤال

يذهب إلى الجنة بغير حساب ... معطراً ومخضباً بخضاب[2]

وزنودها شبه الخيار الرابي ... عند القطف قبل أن يجيه فتال[3]

مثل الخيار اللي ربي عَ أمو ... أطيب من العنبر روائح فمو

اليا لبس مسح الحرير بكمو ... يدعي عقول الناظرين هبالي

يدعي عقول الناظرين هرايف ... وكذيلتو ريش النعام رداف[4]

قوسين من تحت البياض الصايف ... جوز الحواجب مثل خط ميالي[5]

جوز الحواجب مثل خط النون ... هذا الوصف مني كمال اللون

بيضا رداح من المها مزيوني ... مسلوب عودا مثل رمح العالي

يا حلو خاف الله على تعذيبيَ ... عَ فرقتك وضح بياض الشيب

يا زين قد طالت علي الغيب ... ظهري انحنى والضعف غير حالي

ظهري انحنى والضعف غير جسمي ... وما عاد غير خيالنا والرسمي

وإن كان ربي ما كتب لي قسمي ... في نظرتك مت بمرض سلالي

---

(١) الملس: قماش أسود ناعم

(٢) الخضاب: الحناء الحمراء

(٣) الفتال: الالتواء.

(٤) هرايف: أي مسحوقة. رداف: عدة صفوف.

(٥) ميال: جمع ميل.

مــت بمــرض ســلال مــن فرقاكــم　　يــا ريــت مــن بعــد البعــد نلقــاكم

تقــرأ التحيـــة والحمـــد وأرقاكـــم　　في ســـورة الإخـــلاص والأنفـــال[1]

وتقـــر عـــيني بـــالنظر مـــن زولـــه　　واخـــش جـــوات الحمـــى منزولـــه[2]

يـــا ربنـــا يـــوم الـــفراق تزولـــه　　بـــجاه الـــنبي والأربـــعة أبطـــال

بجـــاه الأقطـــاب الأربعـــة والعـــشرة　　يـــا زيـــن يـــا حلـــو النبـــا والعـــشرة

لـــو عرضـــوها لـــي ببيـــع واشـــرا　　وأملـك علـى الفيحـا جـزت عـن بـالي[3]

وأقـــول أنـــا الريحـــان بالمـــسواق　　يـــشهد علـــيّ الـــواحد الخـــلاق

أشـــلي بـــدور الـــشام والأســـواق　　لا صـــار زولـــك مـــا يلـــوح قبالـــي

لا شـــك زولـــك يـــا مـــني الأحـــداق　　لـــكل عـــله بالحـــشر تريـــاق

واخـــتم كلامـــي بالـــشفيع الـــواقي　　يـــفكنا مـــن هالـــداء العـــضالي[4]

---

(١) أرقاكم: من الرقيه.

(٢) منزوله: منزلها.

(٣) لا أبدلها بالشام.

(٤) الداء العضال: مرض الهيام.

الفصل الثالث

شكوى الدهر

أحد أبناء العز والرخاء في الجبل سافر يعمل أجيراً في منطقة حوران الخصبة بعد عدة سنوات متتالية من الجدب والمحل في الجبل. وقد احب ابنة معلمه في الدار التي يعمل بها. وأحبته حباً قوياً ارتبطا بموجبه بموعد زواج وقد عاد الشاب المتيم إلى بلده في الجبل ليبيع بعض العقارات ليوفر نفقات الزواج وبقيت الفتاة المتيمة تنتظر عودته بفارغ الصبر. حتى انقضى الموعد المحدد ومضت عدة شهور وشهور بعده وحتى سنة كاملة ولم يتيسر ببيع العقارات وتدبير المال اللازم واستمرت الأيام تعاكس مساعيه والدهر يحارب خطواته ومازال عاجزاً عن تحقيق أمانيه المعسولة فكتب يخبرها متشائماً ويقول:

الدهر والأيام لي ما ساعدوا	كانوا قريبين المدا وتباعدوا
عاصي حما ونهر الفرا ونيل الصعيد	ما طفوا لنار قلبي وحيدوا
عاصي حما ونهر الفرا ونيل الصعيد	ما طفوا لنار قلبي بالأكيد
أقضي الليالي في بكا ونوح ونهيد	من عظم تنهيدي الجبال تهدوا
من عظم تنهيدي تهدد للصخور	يا ضيم قلبي مثل موجات البحور
شاورت أهل المعرفة قالو صبور	فتشت على الصبر ما كنت أوجدوا
فتشت على الصبر ما كنت أقشعوا	لو أن لقيتو كان لازم أزرعوا
على كل حال بعد همي موضعو	مثل ما ابتديت بأول بدو

خلال هذه الفترة كثر الخطاب وترددوا كثيراً وهي صامدة تنتظر وتنتظر ولا كتاب منه ولا جواب. فيئست ووافقت على غيره وتزوجت وقد وصلتها قصيدة شرح الحال بعد شهور من الزواج . فأجابته بالمطلوع الآتي: ويقال أنها استنجدت على الإجابة بالشاعر المبدع منصور عزام:

الدهر والأيام لك ما ساعدوا — كانوا قريبين المدى وتباعدوا

بعدك مجاريح الهوى راحوا وأجوا — عالحي ياما توافدوا وترددوا

عالحي ياما توافدوا الخطاب — صمتت لا أعطي كلام ولا جواب

رسمك امامي من مطلعها للغياب — نح وبكا ودعوات حتى يبعدوا

نح وبكا ودعوات بلكي ترجعو — وزاغوا عيوني من كثر ما طلعوا

ولما يئست قلبي قفز من موضعو — وكل العواطف عن هواكم حيدوا

كل العواطف حيدت مع غيركم — والطير أقسم ما يوالف طيركم

أنتو السبب أنتو هدمتوا بيركم — وين العهود ووين هلي تعهدوا

وين هلي تعهدوا بنيل المنى — يبس الكرم من بعد ما طاب الجنى

من قبل ما يبدا أساسك بالبنا — هم خلصوا كل العمارة وشيدوا

هذا الذي قد صار وأنتو صابرين — وتغيرت الأحوال عما خابرين

وأن كان ما زلتوا لإسه ناطرين — أبكوا على طول المدى وتنهدوا

مطلوع الحديد - أبو سلام -

مـــالوم عـــيني لـــو بكـــت دمعهـــا دم
مــــالومها وان طولـــت بــــسهرها

تبكـي علـى اللـي فـارق الـدار يـا عـم
كـــثر البكـــا والنـــوح زوغ نظرهـــا

صـــبرت وعيـــا الـــصبر يفـــرج الهـــم
وصبري على البلوات ما حد صبرها

صـبر الحديـد اللـي تلـوى علـى الحـم
مـــا ضـــج لـــو زاد المعلـــم شطرهـــا

يـــاالله ياللـــي بالـــمخاليق تهتـــم
يـــا خـــالق الـــدنيا ومهـــدر مطرهـــا

تفـــرج كـــروب عالقلـــب غمتـــو غـــم
وتزيـــل عـــن قلـــب الملـــوع كـــدرها

والـــشمل مـــا بـــين الرفاقـــة تلملـــم
والـــرب ســـتار الخلايـــق جبرهـــا

شرح المفردات:

زوغ النظر: عماه. شطرها: قطعها. مهدر مطرها: أي تنزل مطرها. كروب: أحزان. الكدر: الغم والحزن.

قصيدة أبو سلام

جاد الله سلام يشكو صروف الدهر

الـــــــــدهر دولاب عالنـــــــــاس دوار	واليـــوم دور رحـــاه دايـــر علينـــا[١]
خمــس ســنين نتجــرع الــصبر بمــرار	مــع ســنة هــدَّت للقــصور الحــصينة
لامــا دعــوني نــاحلاً وتقــول عالنــار	سـلي الـدهون اللـي مجـرد سـلينا[٢]
أبكـي علـى اللـي ينقـل الحمـل لـو ثـار	الحيــد شــيال الحمــول الرزينـــة[٣]
أبكــي علــى أيــام بهــا الــسعد ينــدار	يومــاً بهـــا روس النـــوابي رقينـــا[٤]
وأبكـــي علـــى مبـــدل الـــدار بـــديار	هيهــات مــن عقــب المفــارق يجينــا
وأبكـي علـى اللـي بميلـة الـدهر صـبار	بيديـــه عـــسرات المـــشاكل تهونـــا
وأبكــي علــى عــز القــصيرات والجــار	حــامي لهــم وأن كثــرت الطالبينــا[٥]
يامــا اعتلينـــا فــوق طوعــات المهـــار	ويامــا علــى قــب الــسلايل حــدينا[٦]
ويامــا مــشينا بــديرة الخــوف بنهــار	يـــاما بعتمـــات الليـــالي ســـرينا[٧]
يامــا ســقينا الــضد علقــم وجنــزار	يامــا كــسبنا الــطايلة باليمينــا[٨]
لا تــأمن الــدنيا تــرى الــدهر غــدار	هـــذي أفعالـــه وأنـــشد الباخنينـــا
أصـــبر أنكنـــك عالعـــسيرات تقـــدر	أصـــبر وقـــول الله مـــع الـــصابرينا
لابـــد ريحـــك بالـــدواليب تنـــدار	ونـــصير نأخـــذ حـــقنا بإيـــدينا
لـــو أقبلـــت دنيـــاك تأتيـــك للـــدار	وتقعـــدك لـــنك مـــع الـــنايمينا

ولــو أدبــرت مــا ردهــا كــل هــدار	مــا تلحقــه لــو تطــرده عالهجينــة[9]
دنيــاك يامــا هفــت حكــام وكبــار	يــاما ملوكــاً قــوطروا ذاهبينــا[10]
انظــر بــني عثمــان يــا ولــد شــو صــار	جــارت علــيهم مغــبرات الــسنينا[11]
خلــو قــصور العــز ينعــون الــسوار	وهــم في الحيــاة وغيرهــم وارثينــا
الــدهر خــط بــصفحة القلــب تــذكار	والــشيب خــط بعارضــي قبــل حينــه
الأيــام بــيهم يــدهج الــسبع فــرار	وتــأتي ضــباع الليــل تــسكن عرينــه[12]
يــا الله يــاللي عالمخــاليق ســتار	تخــتم لنــا بالخــير والــسامعينا

شرح المفردات:

١ ـ الرحى: حجر الطحن. ٢ ـ سلي: غلي. ٣ ـ الحيد : الجمل. ٤ ـ النوابي: المرتفعات. ٥ ـ القصير: المستجير. ٦ ـ القب : السرج. حدينا: غنينا. ٧ ـ سرينا: مبكرين. ٨ ـ الطايله: الثمينة. ٩ ـ أدبرت: هربت. الهدار:البطل. الهجينة: الذلزل، السريع. ١٠ - قوطروا: ذهبوا تباعاً. ١١ ـ المغبرات: الصعاب. ١٢ ـ يدهج: يطفش.

الفصل الرابع

حكاية قرع الأجراس وقصائد الحج

في العام الدراسي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ الأستاذ عيسى عصفور معلم بثانوية السويداء ـ يدرسنا اللغة العربية والجبر والهندسة والموسيقا. يمر يومياً أمام الكنيسة في الثامنة صباحاً بطريقه إلى المدرسة الثانوية الواقعة فوق الهضبة شرق السويداء، والأجراس تدق بقوة وتقام الصلوات. وكان اليهود قد اجتاحوا فلسطين واحتلوا القدس وكنيسة القيامة بجيوشهم الباغية وطردوا السكان من مختلف الطوائف والعرب يناشدونهم بحرب الإذاعات تارة وبالأسلحة تارة أخرى وبالصلوات والدعاء تارة ثالثة، ولكن دون جدوى..!! وقد تأثر الأستاذ عيسى كغيره من مختلف الوطنين بهذا الواقع المر المؤلم لجميع الأحرار في الوطن. وبينما كنا مجتمعين في حفل توزيع الجوائز بالثانوية على الطلاب المتفوقين في أواخر أيار من ذلك العام قام الطلاب يهتفون:

كلمة كلمة يا عيسى !! كلمة كلمة يا عيسى..!!

فوقف عيسى بين الهاتفين وقال: ماذا سأقول لكم ..؟؟ لكني قد مررت بطريقي إلى الثانوية بقرب الكنيسة والأجراس تدق وأصوات الدعاء تتردد. فكتبت هذه الأبيات على علبة الدخان ثم أخذها من جيبه وراح يقول:

حكاية قرع الأجراس

فـيم التـرنم والـصلا ـ ة فيمـ أجـراس تـدق؟

وبنـود إسـرائيل فـي أرض المـسيح لهـن خفـق

فـي مـسجد الفـاروق نـا ـ مـت نخـوة واغتيـل حـق

ومعـالم الحريـة الـسمـ ـ حـاء بـادت فهـي رق

كـــم مهجـــة فـــي القـــدس دا ـ ميـــة وكـــم ســـتر يـــشق

وبنـــو العروبـــة كالـــضفا ـ دع فـــي مخابئهـــا تـــنق

يـــا قـــارع الأجـــراس مـــا ـ في قرعهـــا ثـــأر وعتـــق

بـــين التوســـل والدعـــا ـ ء وبـــين حـــد الـــسيف فـــرق

أبيات قليلة والمدلول كثير وكثير. السويداء ١٩٤٩.

حكاية قصائد الحج

في أواخر الخمسينات من هذا القرن كان السيد نايف العطواني من الضباط اللامعين بالجيش العربي السوري وكان عضواً بالهيئة الإدارية لمجلة الجندي السورية. ذهب بمهمة رسمية إلى السعودية من أجل المجلة بموسم الحج فأدى فريضة الحج أثناء وجوده بمكة مع بعض المشايخ من الجبل. وبما أنه الشاب الوحيد بين المسنين المعروف بالعربدة وقصائد الغزل. قام زملاؤه خاصة الشعراء في الجبل يعلقون عليه هجاء ومداعبة واتهامات غزلية من قصائد حسن رسلان إلى أبو نايف علي القنطار فازدهرت الساحة بالسويداء بقرض الشعر، ونقد السلوك ومعارضتهم ثم معارضة المعارضة.. الأستاذ عيسى " عصفور الجبل" كان قد انتقل من الجبل حديثاً ليلتحق بوظيفته الجديدة عضواً بمحكمة الاستئناف بدمشق. وبالرغم من انتقال الجسم بقي الحنين والأفكار مرتبطة بالجبل بعمق كما هو معروف عن الأستاذ عيسى. وعندما علم بازدهار الشعر على الساحة في الجبل بعد رحلة الحج. أرسل هذه القصيدة من دمشق يداعب فيها السيدين حسن رسلان و نايف العطواني فرسان الساحة بالسويداء آنئذ سنة ١٩٦٩ فقال:

الحنين

علماً لفـاني مـن الـسويداء وراعـني ... وفزيـت لـو مـن مرقـدي بكـير[١]

بـالعون ربعـك عـالقوافي تطـاولوا ... والقـاف حنـا نـسوسها ونـدير[٢]

غبنـا عـن الـساحة وقـاموا يطـاردوا ... خـايف علـيهم زلـة التهويـر

نـايف علامـك مـا استهديت بـالحرم ... ورجعـت عـدروب الخطايـا تـسير

دربـك بطولـه عالمـداهيج والرمـل ... مـا شـفت عَ وجهـك بـصيص الخـير[٣]

وش لـك بمكـة وزمـزم الطهـر يـا فتـى ... خطـو الـدنس مـا يغـسلوا تـطهير[٤]

تايـب وكـاذب مـا جنـا كـود خيبـه ... ومـا يلتقـي الرحـمن والـشرير[٥]

الياصـار مـا تـسلم إلهـك سـريرتك ... سـعيك حـرام وحجتـك تزويـر

وعمايلـك مـا هـن خفيـات يـا حـسن ... والـغانم اللـي ينفعـوا التذكـير[٦]

تـرش عَ نـايف أل مـاراد يرجمـك ... يـا حيـف جازيـت الـوفى بتـشهير[٧]

شـوري عليـك تحـج غـادي جرايـرك ... تـلقى عنـد ربـك لهـا تدبيـر[٨]

يـا شـوف عـيني اثنيـنكم في جهـنم ... وزازهـا نـايف وأنـت عالكـير[٩]

وأبلـيس عَ هامـاتكم حـط وانتخـى ... يـا علقـةً مـا مـن لظاهـا مجـير

لا تقـول بوقـه يـا بـو الفـوز جيـتكم ... صـولة مـشمرخ بالنهـار يغـير[١٠]

أبـو محمـد غـازينكم عَ ضامـرٍ ... يحـدي علـيكم والـحدا تكبـير[١١]

لأشـلكم بـشلفة طـاب سهمهـا ... تقـول الحبـاري حايـشنه طيـر[١٢]

وان كـان يـابوالفوز مـا شـفّك طرادنـا ... كـرب علـى بنـت الكحـيلا وغـير[١٣]

عليـك مـردود النقـا بمحاسـبها ... سـيفك عـصاة وشـلفتو سـفير[١٤]

يـا رجّـال خلـك مـن لـواقيط شـعرنا ... مـا يـصول فـي ميـداننا شـويعير

هـداكم الله يـا أهـل الخيـل تمنعـوا ... بـوجه القـصيد ومـا علـيكم ضـير[١٥]

مـن بعـد ذا عـدنا علـى جـاد الهـدى ... وخــلك مــن القــالات والتنقــير[١٦]

دنيــاك يــا بــو الفــوز زوغــا مــزيفة ... مــا بــه صــحايح كلهــا تــصوير[١٧]

الـــبوم غنـــى والأرانـــب تمرجلـــت ... ســـبع الـــبوادي صيحتـــه تهمـــير

تعـــبس بوجـــه الـــيرعبون المنايـــا ... وتضحك لـها ليجفل من التصفير[١٨]

والـدون فيهـا يـا فتـى بـرأس عـيطا ... والحـــر مكـــروب الـــعنان أســـير[١٩]

وأحنابهـــا العميـــان تايـــه دلـــيلنا ... تـــقول القوافـــل قـــايدنه عـــير

هنيـت مـن لـوفي قـعيص ومقـاعص ... مـشتى ومقـيض وكـم شـاة وبـير[٢٠]

وخريـوش مفـتوح الـرواقين عـالفلا ... لا ضـــوجة حولـــه ولا تزمـــير[٢١]

لا راديـــو عنـــدو ولا كهربـــائي ... ومرتـــاح مـــن مـــازوتها والقـــير[٢٢]

مفلاي بنهاري على الشيح والحمض ... وبالليـــل مـــع جـــساسها والـــزير[٢٣]

لا حـرق علـى روس النـوابي دفـاتري ... وأدعـــي علـــى الأقـــلام بالتكـــسير[٢٤]

واعـــوف محكمـــتي وصـــك بوابهـــا ... وأكـــتب عليهـــا قبـــر للتأجيـــر[٢٥]

حـــي البـــداوي للربابـــة والهـــلا ... وريـــت الحـــضارة ينوبهـــا تدمـــير

يـا هيـه يـا رفـاق العمـر يـا النـشاما ... عظمـي انقـصم مـا يلظمـه تجـبير

وصـابر عـسى المعبـود يفـرج عـسيرها ... وكـــل مـــا رجيتـــه زادهـــا تعـــسير

مـــالي مـــع الـــوراد دلـــو ولا رشـــا ... وتقـــول عابـــد لا يذلـــو بديـــر[٢٦]

هـــوجاس فكـــري عَ شـــرايد رفـــاقتي ... يـــا حيـــف يـــغدي شملنـــا تبذيـــر[٢٧]

وأشـوف دهـرك ثلـم الـسيف والقنـا ... وبـــدل أبـــو عرقـــوب بطميهـــير[٢٨]

قلـبي علـيهم مثـل مـا رفـرف القطـا ... والـــوجد عـــصر مقلتـــي تعـــصير

يـا صــربة الريــان يــا عــزوة الونــس　　　مــا ظــن مكــسور الجنــاح يــطير[٢٩]

مــذبوح مــن ثقــل الحمــول وغثاهــن　　　وأبــواب ضــيمي مــا لهــم تــسكير[٣٠]

حيــاكم اللــه مــن ذرى الــدور لملــح　　　مــا غيركــم شيالهــا مــا غــير[٣١]

شرح المفردات:

١ ـ لفاني: أتاني. ٢ ـ بالعون: بالأكيد. ٣ ـ المداهيج: المسالك والطرق فوق الرمال. ٤ ـ ويش لك: ماذا لك.٥ ـ كود: قط. ٦ ـ عمايلك: أفعالك. الغانم: الفائز. ٧ ـ ترش: تتكلم بالسوء. يرجم: يهجي. التشهير: الفضائح. ٨ ـ جرايرك: مساوئك. ٩ ـ وزازها: مثيرها. الكير: المنفخ. ١٠ ـ مشمرخ: ضامر. ١١ ـ يحدي: يغني. ١٢ ـ حايشنه: محاصرنه. ١٣ ـ شفك: أعجبك. ١٤ ـ بمحاسها: ساحة المعركة. ١٥ ـ تمنعوا: تقبلوا الأسر. الضير: الأجحاف. ١٦ ـ القالات والتنقير: الهزل. ١٧ ـ يجفل: يرتعب. ١٨ ـ برأس عيطا: مرتاح. ١٩ ـ قصيص ومقاعص: تلال جنوب أم الرمان. مقيض: مصيف. ٢٠ ـ خربوش: خيمة قصيرة. ٢١ ـ القير: الزفت. ٢٢ ـ المفلى: المرعى. الشيح والحمض: نباتات الرعي. جساس والزير: أبطال رواية حرب البسوس. ٢٣ ـ النوابي: القمم المرتفعات. ٢٤ ـ أعوف: أهجر. ٢٥ ـ الرشا: حبل الدلو. ٢٦ ـ الشرايد: المشردون. ٢٧ ـ أبو عرقوب: الحصان. طميهير: الحمار. ٢٨ ـ صربة الريان: جماعة الجبل. ٢٩ ـ الغثا: تنغيص لحد الغثيان. ٣٠- الدور: أول قرية غرب الجبل. ملح: آخر قرية شرق الجبل.

نايف العطواني يرد على عيسى وحسن رسلان

مطلوع[1]

علـــم لفـــاني طـــير النـــوم مـــني أوجـــس بقلـــبي مثـــل دق المـــسامير[2]

محتـــار مـــن ريـــع لنـــا يلهـــدني وجهد البلا يا جواد قطع علي الضير[3]

هـــذا يجـــيني لا كـــد ومـــستعني مـــن فـــوق أبجـــر عـــذفوه الـــنواطير[4]

قيـــد المنـــابر بـــس صـــوته يرنـــي يـضرب علـى الـسندان ويجـاوب الـبير

اليـــا سمعتـــه بالفـــضا قلـــت جـــني اليـــا نخيتـــه ضـــاع بـــين الـــشماشير[5]

ومـــاني قـــصير البـــاع مـــن صـــغر سـني والـــيوم خـــط الـــشيب زاد التباشـــير[6]

مـــا هـــي غريبـــة مـــن حـــسن لـــو طعـــني و ش ترتجي من اليلتقي بالحواكير[7]

يـــا مرافـــق الجـــيلين يـــا مـــحيرني تـــكبر مـــع الباشـــا وتـــزغر مـــع المـــير

ســـاعة مـــع الوغـــدان أثـــرم تخنـــي وساعة أشوفك قايد الجمع بضمير[8]

الحـــج مـــا هـــو عيـــب عيـــب الـــتجني والـــمثلنا حـــاجج علـــى نيـــة الخيـــر

والـــشرب مـــن زمـــزم فريـــضة وســـني وربـــك كـــريـم ويفـــرج الهـــم ويجـــير

---

(١) المطلوع: نوع من الشعر الشعبي.

(٢) لفاني: وصلني.

(٣) يلهدني: يضايقني.

(٤) الأبجر: صفة للحصان الفتي. عذفوه: عزلوه. مستعن: مسرع.

(٥) الشماشير: الخرق البالية.

(٦) التباشير: الآراء الصحيحة.

(٧) الحواكير: الأرض المجاورة للمنازل.

(٨) الوغدان: الأطفال. قايد الجمع بضمير: أي مع الفرسان.

إن مـا رانـت نفـسك للهـدى مـا تحـني عـاصي ولـو يقـرو عليـك الـمزامير[١]

خــذلك نــصيحة مــن خبيــرٍ وفــني مــا ينقطـف تفـاح مــن حبــة شــعير

لــو شــد موســى وقــام عيــسى مــثني والمصطفى وكـل الـصحابة المشاهير

الــمثلكم مــا هقــوتي يخــش جــني وبــجهنم الــحمرا تــصيروا مــخاتير[٢]

الــنار تكــوي جلــودكم مــا تكــني تمـشوا حـفايا ولابـسين الطـناطير[٣]

وزاد الــبلا مــن شــيخ صــاير زعــني عـينيك باللـي جـاي فـازع مـن الـدير[٤]

أبــو محمــد يــنتخي ومــا يونــي وبـساحة الـهيجا يخـزق مـشاوير[٥]

عنـد الفـضا تـسمع صـياحة يـطني واليـا اسـتحقه يـسبق الـريح ويـطير

المرجلــة مــا تنالــها بالتمنــي وده نــشاما يـرخــصنه مغاويــر[٦]

ردنــاك قــاضي يــضربولك تمــني نـطيت لأرض شـبيح ترعـى المغـاتير[٧]

مـا فـادكم علـم الخطاطيـب كـني يـا ريـت ضـليتك علـى قـصة الـزير[٨]

يــا حــاكم الحكــام خــيبت ظــني بـايديك ميـزان الـعدل صـار جنزيـر

لا صــار ســويت المحــاكم مجــني هــذي دلايــل حرصــكم عالدســاتير

---

(١) رانت نفسك: أي توجهت، مالت. المزامير: سفر من التوراة.

(٢) هقوتي: تقديري . مخاتير: مختار وهو العمدة.

(٣) الطناطير: جمع طنطور وهو لباس الرأس للكفار.

(٤) زعني: متحمس ، متهور.

(٥) ساحة الهيجا: ساحة المعركة.

(٦) النشاما: جمع نشمي وهو الفتى الشجاع.

(٧) المغاتير: العبر، جمع عبورة وهي بنت النعجة.

(٨) علم الخطاطيب: علم المدارس. ضليتك: بقيت.

واليـا سـألت النـاس عنـك وعنـي — النسر مـا يـوطي حقينة عـصيفير[1]

حتـى الـصقر لـو تجرحـه مـا يهـني — ولا يـذل لـو كثـرت عليـه الـشنانير[2]

يـوم العـذارى زغـردت مـا نـسني — يـوم اللقـا نـخلي الـجماجم دعـاثير[3]

وسـيوفنا مثـل الـبرق يـلمعني — واللـي غـزانا نـجدعه بالمناخـير

ودلالنـا تـعبق مـع الهيـل بـني — ومهباجنـا يـصدح مـع الـضو بـكير[4]

وعـن صـربة الريـان لا تـسايلني — مـا ظـل عـدروب الوفـا كبيـر وزغير[5]

هـاللي غـشاه الفـود قـوطر يغـني — يـرقص علـى حس الطـبل والمـزامير[6]

واللـي هـوى بالقـاع عـاود يحـني — ويـذكر هـل الريـان لـبين مـا يـصير

خطـو الرفـق لـو عرضـت مـا يـدني — ولـو توزنـه بالـمال عـاف الدنانيـر

يـا الله لا تكتـب علـى الـنفس لـني — يـا رب تـهدينا علـى جـادي الـسير[7]

---

(١) حقينة: تصغير حقانة : المغارة.

(٢) الشنانير: صغار الحجل.

(٣) الدعاثير: أكوام الحجارة.

(٤) المهباج: نجر القهوة.

(٥) صربة: جماعة.

(٦) المزامير: هنا الزمامير.

(٧) جادي السير: الطريق الصحيح.

أبو فوزي حسن أرسلان يدخل المعمعة

يخاطب السيد نايف العطواني

يا زايراً بيت الحرام ومدعي أنك أتيت البيت للتكفير

ترجى العفو عما مضى من جرايمك وتقول تايب والإله مجير

لكن هالتوبة عجز بعد شيبتك ويا ريتها كانت قبل بكير

يا ريتك دروب المعاصي تركتها وطهرت نفسك من خطايا كثير

كنت أهتديت وصار سلمان صاحبك بالصين هيالك مقام كبير

لكن نفسك هالشقية تمردت وعيت على دروب الصلاح تسير

كل ما نويت تجوز[1] وتدشر الخطا بتقولك على مهل يا مير

متع فؤادك بالملذات والهوى وبعدين شو بدو يصير يصير

بأول زمانك كنت تايب ومهتدي راهب وتدعي بالأنام بشير[2]

بس الغواني شوحوا[3] لك بردنهن[4] عفت الصلا وسكرت باب الدير

وكفرت بقدس المسيح وفضايلو وبعت الديانة بتين يا خنزير

---

(١) تجوز: تتوب.

(٢) بشير: مبشر.

(٣) شوحوا: أشروا.

(٤) الردن: استطالة من القماش بمقدمة الكم.

مرتـــد اســـمك بالجـــداول معلـــق	هـــذا قـــرارك والقـــرار خطيـــر[١]
بينـــك وبـــين أبلـــيس صـــارت معاهـــدة	وتـحالـــفتوا ضـــد أهـــل الخـــير
وهرولـــت بـــالركن اليمـــاني وحـــولهم	ونـــحرت بعرافـــات ألـــف بعيـــر
وبمـــاء زمـــزم تغتـــسل دوم للأبـــد	لا تنظـــف ولا ينفعـــك تطهـــير
ورميـــت عالـــشيطان جمـــرات محرقـــة	حتـــى تـــدمر مـــوطنو تدميـــر
نفس الـشقي تبقـى مقيمـة علىالـشقا	راح الوعـــظ فيهـــا بـــلا تأثـــير
ممكـــن يمـــر الفيـــل مـــن خـــرم إبـــرة	وبالهنـــد يـــصبح عالـــماً نحريـــر[٢]
أمـــا إلـــك جنـــة عـــدن غـــير ممكنـــة	وبـــجهنم الحمـــراء تـــصير مـــشير[٣]

---

(١) إشارة لما قاله نايف نفسه بقصيدة الحج.

(٢) نحرير: مبدع، مخترع، بارع.

(٣) مشير: قائد الأبالسة.

أما نايف العطواني فيتذكر أيام الصبا والجارة والحارة التي نشأ فيها ويصور ما يحدث بين القديم والحديث أو بين الأم وابنتها "صراع الأجيال" بهذه القصيدة:

قديش ما بتذكرك يا حارتي فيك انتشينا وغاد ربيت جارتي[1]

كنا زغار ونجهل دروب الهوى وجيراننا ما بيكر هوش زيارتي

شواربي خطوا وفزوا نهودها وخطوط حمرا شرشت عخدودها

ورشت جدايلها بعطر ورودها والثلج يخجل من بياض نهودها

مثل العريشي اللي نضج عنقودها والريق توت الشام عَ إمو استوى

من هالعصير تباركت خمارتي

الأم: يا بنت أوعي تلعبي مع هالصبي بالعفرتي بولاد جيلو ما ربي[2]

أن شفتيه عَ مد الشوف عن دربوا هربي ولا تصدقيه لو يحلف برأس النبي[3]

صرتي صبية وعن قريب بتخطبي وخطاب عبيتز احموا كلهم سوى

بكره الفرج يالله عطيني بشارتي

البنت: يمي بربك لا تجيبي سيرتو قلبي محير لا تزيدي حيرتو

وحق النبي من يوم النابجيرتو عبحس قلبي بيحترق بسبيرتو

لما ابتجي نسمة هوى من ديرتو بشعر كأن القلب من جوى أنكوى

(١) انتشينا: كبرنا. غاد: هناك.

(٢) بالعفرتي: بالشيطنة.

(٣) عَ مد الشوف: على مدى الرؤية.

يمي بصراحة علقت سنارتي

الأم: يـا بنـت أوعـي لا تقـولي هـالحكي يـا بنـت أوعـي هـالحكي مـا هـو لـكِ

بـــاين عـــليكي مـــن زمـــان ملبكـــي قطـاب ليـل نهـار رأسـك بالبـكي[1]

إن عـرف أبـوك بخـاف يتكيكـي تكـي وتــشمت الحــساد فينـا عَ ســوى[2]

يا فضيحتي بين البشر يا خسارتي

البنـت: يمـي بـلاش تهـددي وتتوعـدي مش فاهمي من هالحكي شو بتقصدي

بطلـــت طفلـــة قاصـــره متـــرددي بعـرف خلاصـي مـن مليـح ومـن ردي

كنـتِ صـبيي وعـن قريـب تـرددي قلـب الملـوع بـالهوى مـالـو دوى

وهيك انبنى هالكون يا قبارتي

الأم: حاجي بقى يا بنت نقّضتِ الجروح أمـك بنـت حـوّا تـرى مثلـك بـروح[3]

* * * * *

البنت: لا تجبروني طير بهالدنيا وسوح يمـي لغـيرك لا بقـول ولا ببـوح

مـا بريـد غـير ولـو بيبنـولي صـروح صـرنا بعـصر جديـد والماضـي انطـوى

وتحت الجكر ما راح أعطي سوارتي[4]

* * * * *

(١) ملبكي: حيرانه.

(٢) يتكيكي: يضع رأسك علىمسند للذبح.

(٣) نقضت: هيجت.

(٤) الجكر: العناد. أعطي سوارتي: إشارة للموافقة على الخطيب.

وأخيرا رد السيد نايف العطواني على جميع المعارضين

زرت الحرم تزيل عن نفسي العيوب واستغفر الرحمن من كثر الذنوب

طفت وسعيت وقلت يا ربي السماح ومريت عالكعبة شماليها وجنوب

طفت وسعيت وقلت يا ربي السماح واستغفر الرحمن واللي راح راح

صليت لما سمعت حيِّ على الفلاح والحج خاشع لا ضجيج ولا صياح

لما لمكة وصلت شي هرولي وشي ركض لما الحجر قبلت وركعت سني وفرض

هالنفس أني ذللت ولامس جبيني الأرض وقبر النبي قد زرت ومشيت طول وعرض

شربت من زمزم ثلاث أربع قداح وصليت بمكة العشى والغروب

شربت من زمزم وقلت الشرب طاب وجيت عقدامي وعاري من الثياب

بلكي اتخلص من ذنوبي هالصعاب وبلكي الهي يفكني يوم الحساب

ثاري الذنوب كثار والكفر مالوحد لوحج ليل نهار باب العفو منسد[1]

نفسي مع الكفار كافر شقي مرتد ما فيش غير النار والحكم ما لو رد

قلت السبب قالو ملايين الأسباب حب الجمال وحب شلاف القلوب[2]

* * * * *

قلت السبب قالوا غرامك ضيعك قضيت عمرك بالجهل شو بينفعك

---

(١) ثاري: وإلا، أي اكتشفت.

(٢) شلاف القلوب: أسر القلوب.

راحـت حياتـك معـس مـع هاللوعـكِ منـشوف شـو بـصير بالتـالي معـك

تعـال يـا مـسكين تنـرجم الـشيطان هـذي شـروط الـدين مـذكورة بـالقرآن

من خلف سد الصين بكره بيجي سلمان بحاسبـك حـزقين وتـصعد علـى الميـزان[1]

وتنـدم علـى مـا فعلـت آه مـا أطعمـك وبـتروح عجهـنم وبتهـشل عالـدروب

* * * * *

قلـت العفـو يـا نـاس مـا بـدي سـرور ولا بريـد بالجنـة علالـي ولا قـصور

ولا بـرجم الـشيطان هالـشهم الغيـور اللـي بلانـي بحـب ريـات الخـدور

بـدي غـرام وحـب وجهـنم الحمـرا ونـار الحبيـب تهـب لـو أُحـرق بجمـره

وأسـنان زي الـشب مـن ريقهـا الخمـرة واسـتغفرك يـا رب بليلـة القمـرة[2]

أنـت الخلقـت الحـب مـا بـين الطيـور وأنـت الحرمـت النـاس مـن علـم الغيـوب

* * * * *

لـيش الـصلا والـصوم مـا دام رسمـي فـوق بجـدول المحـروم مجـدول أربـع طـوق

وأنـي المعـذب دوم قلـب الـشقي محـروق شـارب مـرار الـزوم والجفـن كـاوي الموق

أصـبحت أنـي مظلـوم مـا في عـدل وحقـوق

لكـن بلكـي هـالكريم المـصطفى يغفـر ذنـوبي و بوعـدو أنـي بتـوب

---

(١) سلمان: يعني الصحابي سلمان الفارسي . ـ حزقين: ملاك المحاسبة في اليوم الآخر.

(٢) زي الشب: أي بيضاء مثل الشبه وهي مركب ملحي.

حكاية قصيدة القليب[1]

عندما بلغ الشاعر عيسى عصفور الستين من عمره بعث بهذه القصيد إلى نايف العطواني، يشكو ويتوجس من المستقبل وقد ارتحل من الجبل إلى دمشق، وهي قصيدة فن تغنى بالأعراس والاحتفالات وقد لحنت على عدة ألحان:

خايف وما كنت بزماني خايف ... دهري فتل كيف العمل يا نايف

قلبي أنكوى بنار الجوى وحر النوى ... جسمي لوى وأشوف زرعي هايف

* * * * *

خايف من الستين كشر نابه ... والنفس ما تدري غداً وش نابه

تشوف الفتى راعي البصيرة النابه ... عينو على عشرة و ما هو شايف

* * * * *

خايف من هاللي عشرتو معتلي ... والصاحب اللي لو تقودوا تلي

خايف على القليب يغدي تلة ... من بعد ما هو عالروابي نايف

* * * * *

خايف عليكم يا رفاق الطولي ... تغدوا شرايد ما لكم من طولي

وأنتو على مر الزمان وطوله ... أهل المروة معذيين الخايف

* * * * *

---

(١) القليب: أعلى قمة في الجبل بجانب مصيف الكفر.

حمـــــر البيـــــارق والـــــسيوف رعـــــاف شـــــرابة الـــــدم الحمـــــر والـــــصايف

يـــــا ديـــــرة المـــــا نتوبهـــــا تنعـــــاف لـــــو أنهـــــا جنـــــة عـــــدن والطـــــايف

شرح المفردات:

١. الجوى: الفراق ـ النوى: البعد . . الزرع الهايف: طويل بدون ثمر.٢. وش نابه: ماذا أصابها . ٣ـ النابه: الفطين.٤. تلَّ البعير أو الفرس: شد بماسك العنان نحوه.٥ـ معذيين الخايف: منجدين الخايف ومخلصينه. ٦. تنعاف: يُمَلّ منها .

الفصل الخامس

حكايات وبعض قصائد اللواء زيد الأطرش

والردود الأخرى

كان من القادة البارزين في الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥. قاد حملة الإقليم التي نازلت الفرنسيين بمعارك متعددة من الغوطة حتى معركة احتلال راشيا الضارية. وهو حساس يتأثر بجميع المواقف الوطنية والاجتماعية كما يظهر ذلك في شعره السلس وألفاظه الجذلة الواضحة تُغنى بكثير من القصائد الوطنية والقومية التي انطلقت من حناجر الفرسان حداءً وأغاني خيالة وجوفيات لها وقع يلهب حماس الجماهير ويثير النخوة والحمية لمعارك تحرير الوطن والوحدة الوطنية والنضال القومي العربي نذكر بعضها فيما يلي:

أولا: يا ديرتي

عندما كان الثوار في وادي السرحان يقاسون من شظف العيش. يأكلون العشب أو يقطعون بعض الأيام بدون طعام أو شراب.كما يذكر الأمير عادل أرسلان:

في مهمة قفرٍ إنسانه ضبٌ وأصوات التغنيٍّ فحيح وصلت من الجبل إلى وادي السرحان قصيدة تلقي اللوم على الثوار خاصة سلطان الأطرش لتكبد البلاد الكثير من الشهداء والضحايا ووصولها إلى شظف العيش والأحوال الاقتصادية السيئة. وهذا البيت الأول من القصيدة التي وصلت إلى وادي السرحان:

يا ديرتي مالك علينا لوم — لا تعتبي لومك على سلطان

وكان بعد ذلك جواب زيد من وادي سرحان وقصيدة يا ديرتي:

حيّاك يا علمٍ لفانا اليوم — من صربة بديرة الريّان

أبطال وبظهر السبايا دوم — من فوق ضمَّر كأنهم عقبان

يا ديرتي مالك علينا لوم — لا تعتبي لومك على من خان

حنـــا روينـــا ســـيوفنا مـــن القـــوم وما نرخـصك مثـل العفـن بأثمـان

وأن مـــا خـــذينا حقنـــا مـــن القـــوم حـــارم علينـــا شـــفة الفنجـــان

يـــا طـــير يللـــي بالمنايـــا تحـــوم هـــودّ علـــى اللّـــي بـــالوطن خـــوان

وأن مـــا عـــدَّلنا حقنـــا المهـــضوم يـــا ديرتـــي مـــا أحنـــا لـــكِ ســـكّان

لا بـــد مـــا تغـــدي ليـــالي الـــشوم وتعتـــز الـــصربة القادهـــا ســـلطان

ثانيا

في سنة ١٩٣٦ أبو غالب زيد الأطرش عضو في المجلس النيابي السوري بدمشق. رئيس المجلس السيد فارس الخوري ومن أعضائه فخري البارودي وهاشم الأتاسي وغيرهم من الوطنيين المشهورين وقد أضربت دمشق عدة شهور من أجل سلخ لواء الإسكندرون ووعد بلفور حتى انشلت الحركة وتوقف العمل بالمدينة فتضايقت سلطة الانتداب الفرنسي آنذاك وراح فخري البارودي يردد : إن مثل هذا الإضراب أفضل من الثورة السورية التي كلفتنا الكثير من الضحايا والشهداء . وعندما بلغ الكلام السيد فارس الخوري قال لفخري البارودي متهكماً زيدوا مظاهرة كبرى علكم تعيدوا لواء اسكندرون ..!!

أما زيد الأطرش فخاطبهم بقصيدته المشهورة المعروفة من خيرة أغاني الفرسان وما زالت تردد حتى الآن ..!!

والعـــدو خـــش الحمـــا ثـــم اســـتباحه ويـــنكم يـــا للـــي تريـــدون الزعامـــا

والطمـــوح اليـــوم يـــسمعنا صـــياحه عالمنـــابر بـــس لخـــرط الكلامـــا

التهيتـــو بالـــسيادة والـــسماحة ولا جلبتـــوا للـــوطن غـــير النـــداما

مـــن يريـــد العـــز لا يعمـــل مناحـــه الـــسلف عـــزوا وطـــنهم بالحـــساما

والــذي كــل الخلــق ترجــو فلاحــه   وحــق ســر المـصطفى وبيــت الحرامــا

بعــد هــذا كــود نحكــي بــصراحة   وننتخــي بــالجمع لبــاس العمامــا

أثناء حرب ١٩٧٣ كانت قد تقدمت السن بالشاعر زيد الأطرش فراح يتسمع ويتتبع وينتخي وهو يتحمس لخوض المعارك فقال هذه القصيدة يفتخر بالجيوش العربية ومعارك النصر والتحرير:

مــن هــضاب شــاد هلنــا فــوق منــا   موطنـــاً للعـــز موفـــور الكرامـــة

مـــن جبـــل حـــوران بيعـــرب تكنـــا   يــا المـشكك دونــك وشــاح الوســاما[١]

وأبعثـــه مـــني تحيـــات ومنـــا   بالأصـــالة والنيابـــة للنـــشاما[٢]

ربعنـــا درع الـــوطن مـــن يـــوم كنـــا   يقودنــا ســلطان نـشفي لــه مرامــه[٣]

أبعثــه لجيــوش تــدفع عــن وطنــا   عاديـــات مـــن دهرنـــا بالحـــساما[٤]

مـــن ورا ســـيناء حتـــى بيــت جنـــه   للهــضاب اللــي قفــا الــساحل تــساما

فجــره جــيش العروبــة يــوم شــنه   عالمعـــادي غـــارةً بـــدد أحلامـــا

وأضـــرمه نـــاراً جحيمـــاً مـــا تكنـــا   بــأن عالــدنيا ســناها مــن ضــراما[٥]

ثــم صــبّهُ فــوق خــط قــال عنــا   الفتـــى ديـــان حـــصناً لا يرامـــا[٦]

---

(١) تكنا: اتخذ كنية .. وشاح الوسامى: شعار العظمة.

(٢) النشاما: الأبطال.

(٣) مرامه: غايته.

(٤) عاديات: مصائب.

(٥) سناها: لهيبها.. ضرامه: شعلتها.

(٦) خط: يعني خط برليف.. لا يراما: لا يدرك.

يوم قامت ساعة الهيجا تدنَّى ... واختلط عج المدافع بالقتاما[1]

بان نصر الله عالباغي يئنا ... من بليغ جراح وحصون ركاما

ما نفع برليف تخطيطه وفنه ... عند إيمان تفجر من كمامه

يا دعياً لو قبل هذا تسنَّى ... سام ستة اللي دعا الفانتوم حطاما[2]

ما تحديت الخلايق كلهن ... وقلت أن العرب قد باتو يتامى

هاك طعنه لو تصيب الصمّ خنا ... من صميد عَ يعربياً من تهاما[3]

علها تنبيك تاريخاً تغنا ... عن أمجادٍ ما لها عندك مقاما

كان ودِّي والثكالى يهزجنَّ ... لو تراهن حول مذياع العلاما

يمسحن الدمع ثم يزغردنَّ ... لشهيدٍ في ثرى الأوطان ناما

هاك طرفاً من بليغ قوالهنَّ ... لو وعاها صاحبك أنكر جراما[4]

وأن ذبحتوا يا النشاما الموت سنة ... وأن سلمتوا سالمين من الندامه

يا عريساً خضبوك بغير حنا ... مت كريماً ما بعد روحك ملامه

للوطن حق علينا دون منه ... أرواحنا وقفاً فدى له للقيامة[5]

---

(١) ساعة الهيجا: ساعة المعركة.. القتاما: الظلام.

(٢) سنا: حصل.

(٣) الصمّ: الصخر.. خنا: أنكسر.

(٤) اجراما: جرائمه.

(٥) دون منه: بدون مجاملة.

والوليـــد ابـــن يـــومين انقـــال ننـــه نرضـعه حـب الـوطن قبـل الفطامـا

نطلـــب المــولى علـــى البـــاغي يعينـــا ويـــزرع بنيكـــسون ضـــميراً للـــسلاما

البغـــيض اللـــي علـــى العـــالم تجنّـــا بكـل أقطـار الأرض توجـد لـه دراما

يـــا نـــصير الظلـــم مهـــلاً لا تجنـــا فـالعرب قـد جـاوزوا سـن الفطامـا

ذاك عـــصر الـــذل قـــد زحنـــاه عنـــا يـوم كنـت تـشد مـن عنـدك حزامـه[1]

والـــذي بـــث الهـــدى فينـــا مثنـــى وزال عـن دنيـا العـرب خـط الظلامـا

ولـــزم جيـــوش المحيطـــة بقـــاع خنـــا تدعمـــه نجـــد العزيـــزة للمنامـــا[2]

حقنـــا مـــا ينهـــضم مهمـــا ركنـــا ســوف نبقــى حربــة عــسر التهامــا

هـــا هـــداك الله تبـــصر لا تجنـــا مــن تجــبر نكــس البــاري علامــة[3]

عندما نزلت القوات الأميركية والحليفة في الخليج والسعودية. خشي الناس من الحرب وراحوا يتساءلون ويتشاورون قلقين يتبادلون الرأي حول أسباب هذه الحرب ونتائجها وتأثيرها على المنطقة والعالم . **"بين زيد وعيسى"**

الشاعر زيد الأطرش من القريا يتساءل مع الأستاذ عيسى عصفور بدمشق

كثـرت مـصايب عـصرنا يـا عيـسى واحتـــار فكـــري كيـــف بـــدي قيـــسا

فكـــري يـــوجهني نحـــو شـــط العـــرب وبظـــن مـــن هـــوني بـــدا تأسيـــسا

حتـــــى تفـــــاقم شـــــرها وتنـــــاثرت والكــــل صــــاروا يلعبــــوا البرجيــــسا

---

(١) حزامه: خيوطه.

(٢) قاع خنا: موقع في البادية.

(٣) الباري: الله.

ويبـــشروا بحلـــول غايـــة في العـــدل لكـــني أشـــوف حلولهـــا مـــن كيـــسها

وأصـــحاب كـــانوا معقـــل لآمالنـــا واليـــوم صـــاير حكـــيهم تونيـــسا

ويامـــا المـــصايب قـــد طغـــت بـــديارنا أضـــافت حلـــف الـــشرير للقديـــسا

وهـــل بعـــد هـــذا مـــن أمـــل نرجـــى لـــه يـــأتي مـــن الطـــاغوث والغطريـــسا

يـــا عـــرب حـــل المـــشرف بيـــدكم لا هـــو بلنـــدن ولا جنيـــف ونيـــسا

رصـــوا الـــصفوف ووحـــدوا رايـــتكم الـــدرب أطـــول حكـــيهم تدليـــسا

يـــا صـــاحبي رأيـــك بواقـــع لفنـــا وحـــال الأهـــل علاقـــة بمريـــسا

يـــسوقها التيـــار لوهـــب الهـــوى ثـــم يعيـــد اللـــورا تنكيـــسا

وإن كنـــت مثلـــي ضـــالعاً بـــالحيرة الـــصمت أولى مـــن كـــلام يخيـــسا

مـــن بعـــدها وإيـــاك غَ حفلـــة سمـــر وإلاّ علـــى العكـــوب هـــات عويـــسا

جواب الأستاذ عيس عصفور

يـــا زيـــد دونـــك مرحبـــا مـــن عيـــسى كـــبر الجبـــل لـــو توزنـــه وتقيـــسا

عطرتهـــا بطيـــب القريـــا وريحهـــا وصـــلى عليهـــا شـــيخها وقسِّيـــسا

يـــا زينـــة الـــشيخان يـــا بـــو غالـــب يـــا صـــاحب الـــشور الـــسديد الـــصايب

شـــو صـــار تَـــصفَّى ســـعدنا غايـــب والنـــاس صـــاير مـــشيهم تهبيـــسا

يـــا شـــاعر الجـــيلين أمـــس واليومـــا يـــا فـــارس الميـــدان عنـــد الحومـــا

دار الظلـــم بـــسيفكم مهـــدوما لـــو كـــان عَ صـــم الـــصفا تأسيـــسا

درب المـــــروّه مــــا عليهـــــا دوجــــــي تــشوف الفتــى عــدو طــريح الرّوجــي

والغرســة اللــي مــن أساســها عــوجي عــسراً علــى أهــل الــذكا تجليــسا

خطـــو الولــــد زولاً يــــسرك شـــوفه مــــار الفعايـــــل بـــا لهزل ملفوفــــه

لا تغـــرك ســـنان الـــذهب مرصـــوفة شـــقفة عظــم مـــن فوقهــا تلبيـــسا

بـــشفي نـــشاما مـــن خيـــار النـــاس جــوهر مــصقل مــن عميــق الــساس

والعوشـــرية مـــا تعــــبي الــــراس طيــب القِهيــوى عوســها وتحميــسا

شــوف الــدهر يــا زيــد ويــل وســايه حـــالِف يـــشتت شملنـــا بمـــذرايا

حنـــا رفعنـــا للمكـــارم رايـــة عـــاراً علينـــا طيهـــا وتنكيـــسا

يــوم علـــى صـــهيون يـــوم الكوبـــا وجيوشــها بنـــار الحـــرب معطوبـــة

نــصلي حماهـــا بنارنـــا المـــشبوبة وعنـد العـصر يـا مـا حلـى التهويـسا

ازدهر سوق الشعر بعد هاتين القصيدتين في السويداء فراح فرسان الشعر الجدد يعارضون على نفس البحر والقافية.

١ـ من مداخلة نواف أبو زيد

محتـــار فكـــري بـــين زيـــد وعيـــسى ورحـــاب أرضـــي بروضـــهم تمريـــسه[1]

لـــو اســـتعرته مـــن حـــديهم قـــاية فـــيض القـــواية أرحبـــت مـــن كيـــسه

* * * * *

صـــوح ريـــاض بلادنـــا يـــا أعمـــامي قلـت الـبعض ثـاري الـضياع عمـامي[2]

أهـــل الكفـــاية بمـــرده وعمـــامي مـــا كـــان ظـــني يوالمـــون الحيـــسه[3]

* * * * *

ســـدت علـــى أهـــل النخـــاوي نخاهـــا تنخـــي وتنخـــي ولا أحـــد ينخاهـــا

والـــبعض منـــا ربعـــت بنخاهـــا كالغيـــدة اللـــي غِلـــها بتعنيـــسه[4]

* * * * *

نامـــت وراحـــت مـــا لهـــا مـــن قـــومي ولا تقـــول دولـــي والربـــع مـــن قـــومي

غيبـــة ســـعد ولا الخلـــق منقـــومي يـــا الـــدهر مايـــل يـــا غـــشاه أبليـــسه[5]

* * * * *

---

(١) تمريسه: ممزوجة.

(٢) صوحَ: أمحل، أجدب. ثاري: وإلاَّ.. أعمامي: عام وعمومي.

(٣) الكفاية: أغطية الرأس البيضاء، الحطّات . ـ المردّ: ذووا الرؤوس العارية ـ أعمامي: أصحاب العمامات.. يوالمون الحيسة: تلاحقون الولائم.

(٤) ربعت بنخاها: بمكانها دون أن تنهض .. غلها بتعنيسه: قيدها عدم الزواج.

(٥) منقومي: غشتها النقمة.

شـــيخين منـــا ولا لقـــوا مـــن حلّـــه ولا مـــن دري بـــين العـــوج مـــن حلّـــه

يـــا ديـــرة اللـــي للـــصقر منحلـــه الليـــث فيهـــا للحـــصيني فريـــسه[١]

* * * * *

مـــا كـــان بنـــا والعـــوج مـــن ساســـه تـــردي الأصـــايل لـــو ردي مـــن ساســـه

لـــو تعـــصف ريـــاح الـــدهر منـــساسه مـــا هـــو عتبنـــا عالـــدهر تجليـــسا[٢]

* * * * *

مـــن أهـــل المـــروة مـــا بقـــي مـــن صـــاح ولا تـــسايل بـــصوت النخـــي مـــن صـــاح

لا يـــا خـــسارة ولا لنـــا منـــصاحِ والكـــل ناصـــب عـــالعوج بدريـــسا[٣]

من مداخلة فرزان كحل

العـــيس شـــالت واضـــعنت يـــا عيـــسى وأحلامنـــا طـــي الرســـوم رسوســـا[٤]

بـــالظن ترجـــع قدســـنا المحتلـــي خـــاب الـــصلا بمهـــدها وكنيـــسا

بـــالظن ترجـــع قدســـنا المحتلـــي وأخلاقنـــا وأفكارنـــا معتلـــي

مـــا دام القليـــب انمـــسخ لتلـــي صـــلوا علـــى شـــيطانها وأبليـــسا

صـــلوا علـــى الـــشيطان والـــدجالِ واســـتقبلوا لـــبس القبـــع والجـــال[٥]

---

(١) منحله: مرعى .. الحصيني: الثعلب.

(٢) منساسه: نسمة صغيرة.

(٣) منصاح: نصيح، منصح.

(٤) العيس: النوق. رسوسا: راسية بمكانها.

(٥) القبع والجال: القلانس والطناطير.

يـــا زيـــد أحفـــاد لكـــم وأنجـــالِ	لا تعـــدها ولا تحـــسبه ولا تقيـــسه
دورك مـــضى يـــا زيـــد وراح بحالـــه	مـــا حيلـــة اللـــي بالنوايـــب حالـــه
حـــالٍ تـــأجن مـــسكها وأوحالـــه	وحـارم على اللـي يحتـسي التعطيـسا[1]
حـــارم علينـــا نزلهـــا مـــن دلـــي	راووقهـــا وعاشـــورها مـــا انـــدلّ[2]
مـــا دام أعنـــاق لنـــا متـــدلّيّ	خلـــي قهاوينـــا ذره ومليـــسا
قـــال المثـــل عـــن درو بيـــي وجـــدي	مـزح الفتـى ينطـي الـصواب وجـدّي[3]
يـــا الله عـــدرب الكرامـــة تجـــدي	كـل مـن تحـدر مـن تنـوخ وقيـسا[4]

من مداخلة جادو نصر

حـي الـشعر هلـي صـدر عـن عيـسى	لـه بـاع طـولي بنظمـه وتدريـسه
مـسبوك مـن خـاص الـتراث سـطورها	ومـبني علـى حـب الـوطن تأسيـسه
زيـــن المعـــاني وللأصـــالة ردّى	ومعطـره بـريح الجبـل كـل ردّي
هاجـت أفكـاري ومـا بغيـث الـردّي	لكنهـــا يـــا صـــاحبي تنفيـــسه
اليـــا التقـــى الـــشعار أنـــتم رأســـي	وأنـتم مـن اللـي يرفعـون الراسـي
أمجـــاد أهلنـــا كالجبـــال الراســـي	علمتمونـــا حبّهـــا وتقديـــسا

(١) تأجن: اختلط، عجن مع بعضه .. مسكها وأوحاله: الجيد والسيء ، الفتي والسمين.

(٢) راووقها: الصافي منها، عاشورها: القديم. ما اندلِ: لا أميز.

(٣) ينطي: يحتمل.

(٤) من تنوخ وقيسا: من أصل عربي.

هيـــل القـــوايـ في والـــشعر والفنّـــي   واليـــا انتـــصب ســـوق الـــشعر يلفـــنِّ

يـــا حيــف فــن الــدهر أكــبر فــني   يـــا الله نـــصلي بجـــامع وكنيـــسا

القلـــب لأتـــراب الجبـــل يحينـــا   شـــرابة الـــدم الحمـــر ياحينـــا[1]

بعـــد القهـــاوي والكـــرم في حينـــا   نـــشرب المـــتي وبعـــدها المليـــسا

أهـــل المخمـــس والـــشروقي قلـــه   فـــوق الـــذرى متـــسلقين القلـــه[2]

ســـلم علـــى بحـــر الهجـــيني وقلـــه   مـــا عـــاد عنـــا مقـــاييس نقيـــسه

وهذه بعض أشعار هؤلاء المعارضين الذين أغنوا الساحة حديثاً في الجبل بالشعر الجزل الموزون المنظم:

الشاعر نواف أبو زيد وثورة الحجارة

يـــا الله يـــا ناصـــب جميـــع المـــوازين   يـــا باســـط البيـــدا وفوقـــه الجرامـــي

التلفـــاز بثـــه صـــج مـــا شـــافت العـــين   ربعـي صحوا مـن بعـد طـول المنـامي[3]

مـا ضـاع حـقٌّ لـو تماطـل علـى الـدين   ولـــه صـــاحب يفيـــه طـــول العـــوامي

ثلاثـــين عـــام وزود و احنـــا معـــزين   نبكـــي ضـــحايا وكـــل منـــا وجـــامي

ولا فـــود بكثـــر الـــشكاوي وبـــراهين   وشـول الـضحايا فـوق بقعـة ركـامي

مـــا رُدَّ حـــق بغـــير حـــد المـــشاطين   والـسيف أصـدق مـا روتـه العلامـي[4]

---

(١) أتراب الجبل: رفاق الجبل.. يحينا: يحن .. يا حينا: أسفي عليها.

(٢) القله: القمة.

(٣) صج: مباشرة صحيح.

(٤) المشاطين: السيوف.

لو دم يعرب سايلي بالشرايين ... ما زال غطريس بحرمنا ودامي

وأن ما يجمع شملنا الضاد والدين ... ولا يعود فود الندم والسندامي

ولا معتصم من بينكم بالسلاطين ... ويغيث لقربى الرحم والعمامي

لا الغرب جاد ولا الشرق زود عجلين ... من حك جسمه بغير ظفره يدامي

وأن ما رعينا شيوخنا والعجاوين ... أبطال الحجارة ما نراعي ذمامي[1]

لدُّوا عيال القدس وأشبال حطين ... والأرعبوا غزي مكسرين العظامي

أشبال ولا جاوز العمر عشرين ... كل يوم أشوف فعالهم بالمنامي

ولا همهم واهج سنايا البراكين ... وأعطب حجرهم عاليات السنامي[2]

فتيان عمر الورد زهر البساتين ... مرّد ولا هابوا العدو بالصدامي

وشيوخ نافت بالعمر زود ستين ... حامت على صيد عسير المرامي

مثل الصقورة الجارحة والشياهين ... والفعل فعل ولا بخلط الكلامي

ولا خافهم رزم الكلل والمداخين ... رمز لوطنهم ساكنيين الخيامي[3]

التاريخ ما يرحم كراسي ودواوين ... ولا خنَّع صاروا عاليين المقامي

الجور ما نامت عليه الميامين ... ولا يعاد حقٌ بالصلا والصيامي

---

(١) العجاوين: العجيان ومعناها الأولاد، مفرد عجيان: عجي.

(٢) عاليات السنام: القادة المهمين.

(٣) رزم الكلل: صوت انفجار القنابل.

الشاعر جادو نصر يرثي عيس عصفور

أبـــديت أنظـــم بقـــوايـ في وعـــزي عَ فقـــدكم مـــاد الجبـــل واهتـــزي

ســـحابة ســـوداء مـــدوا حبالهـــا فـــوق القليـــب الـــدمع منهـــا فـــزي

* * * * *

عيـــسى خـــسارة لـــلأدب والفـــني محتـــار مـــن غـــزل الـــدهر والفـــني

قـــم يـــا رســـل يـــم الجبـــل والفـــني القريّـــة اللـــي مـــن قـــصدها تعـــزِّي[1]

* * * * *

القريّـــة اللـــي اعتـــز كـــل مـــن جـــالا يـــا خـــير في بحـــور الـــذكا مـــن جـــالا[2]

لا بـــــد ترفـــــع بـــــالمواقف جـــــالا ونـــصبر علـــى جـــرح بليـــغ ينـــزِّي[3]

* * * * *

الـــــدهر لحبـــــال المتينـــــة حـــــلِّ طـــير النيـــا رفـــرف جنـــاحوا وحـــلِّ[4]

يـــا بـــو فـــؤاد فـــراقكم مـــا حـــلِّ المـــوت لخيـــار الرجـــال يخـــزيّ[5]

* * * * *

(١) تعزي: تكرم.

(٢) جالا: بمعنى جاء لها. جالا: جال فيها وتجول.

(٣) جالا: بمعنى جانبها وقيمتها.

(٤) حلِّ: حلها أي فككها. وحلِّ: بمعنى حط على.

(٥) ما حلَّ: ما جاء وقته. يخزي: أي يختار.

عـــن ذكـــركم عجـــز القلـــم ودواهـــا رعـــد هـــدر فـــوق الجبـــل ودواهـــا[1]

مـــا فـــادت غـــدرات الزمـــان دواهـــا يـــضرب ســـهامو بالحـــشا ويغـــزي[2]

* * * * *

حلـــت مـــصيبة بـــالأدب وقـــضاها عـــن عمـــر حافـــل بالنـــضال قـــضاها

الـــصبر عَ حكـــم القـــدر وقـــضاها خـــسارة وطنـــا مـــن حلـــب لغـــزي[3]

* * * * *

هيهـــات ليجـــود الزمـــان بمثـــالا صـــدق ووفـــاء وإخـــلاص أعلـــى مثـــالا

هيـــل الروائـــع والحكـــم وأمثـــالا كـــل واحـــد بـــدوره لنفـــسو يعـــزي

* * * * *

مـــا حـــاد عـــن درب الوفـــا مـــا حـــادي كـــان المفـــاخر بالجبـــل والحـــادي[4]

حمـــر البيـــارق والـــسيوف الحـــادي عاداتهـــا رقـــاب الأعـــادي تجـــزي[5]

* * * * *

يامـــا تغنـــى بالجبـــل وأمجـــادو يـــذكر ســـجايا اللـــي بـــدماهم جـــادو

لـــروحكم يهـــدي التحيـــة جـــادو مـــن بعـــدكم كـــأني ســـجين المـــزي

---

(١) القلم ودواها: القلم والدواة . رعد هدر ودواها: أي ودويه.

(٢) يغزي: ينغرس، يخترق.

(٣) حكم القدر وقضاها: حكم الله وقضاءه.

(٤) الحادي: المشيد.

(٥) الحادي: الحادة. تجز: تقطع.

تتجلى مهارة الإبداع بنظم هذه القصيدة بما فيها من التزام

١ـ الالتزام بالعودة إلى قافية البيت الأول في نهاية كل مقطع يتألف من بيتين من الشعر.

٢ـ التزام نفس القافية في الشطر الأول والثاني والثالث من كل مقطع: نفس الكلمة إنما بمعاني مختلفة "ثم العودة بالشطر الرابع إلى قافية البيت الأول.

الشاعر اسماعيل شيا: يرثي المرحوم زيد الأطرش

في رثاء المرحوم أبو غالب زيد الأطرش

أبا غالب صعبٌ على المرء أن يرى	**زماناً يوارى في التُّراب ويُدفنُ**
زمان نضالٍ وانتصارٍ وسؤددٍ	**تهاوى وأضحى داخل اللحد يُسجنُ**
أأرثيك أم أرثي المكارم والعلا	**أم القادة الأحرار والحربُ تُعلنُ؟**
لتحرير أرضٍ داسها جيشُ غاصبٍ	**من التُّرك والإفرنجِ والبعضُ يُذعِنُ**
فصُلتم وجُلتم في البلاد أعَّزةً	**تجودون بالأرواح والأرضُ أثمنُ**
تقودون أبطالاً تناخوا إلى الفدا	**وفي الهمَّة الشمَّاءِ للعزِّ موطنُ**
ففي كلِّ شبرٍ من بلادي زنابقٌ	**تغُبُّ نجيعاً من شهيدٍ وتحضنُ**
لكمْ في حمى الريَّان جالت خيولكمْ	**تقاتلُ أحياناً وأحيان تكمنُ**
ففي الكفر أو في المزرعة طار ذكركُمُ	**وجيش فرنسا واهنُ العزْم مُثخنُ**
بقتلى وجرحى غطّت الأرض فيهما	**وآلاتهم من شدَّة الرُّعب مدفنُ**
وتشهدُ راشيًّا وقلعةُ جندلٍ	**لغاراتكم والجيشُ يدعو ويرطنُ**
يدورون كالجرذان بين جحورهم	**لسطوتكمُ والموت إلى المجد تُرهنُ**

نفوساً يهدُّ الجسم حملُ طموحها وأفئدةً في لجَّةِ الخطبِ تُمعَنُ

فبالأمس سلطان وها نحن خشَّعٌ لفقد عظيم والمصائبُ تُشجنُ

عمالقةٌ غابت عن السَّاح وانطوت جسوماً وفي الألبابِ تحيا وتقطنُ

تضمَّخُ تُرْباً أشبعته من الدِّما وعُفِّرت فيه خارجيٌّ وأرعنُ

بعزَّةِ قومٍ أنت فيهم ومنهم وهاماتهم في ذروةِ الشَّمسِ تسْكنُ

علوت على الأقران فعلاً ومنطقاً فلاقى بك الجُلَّى فعالٌ وألسنُ

أيا شاعراً أغنى التُّراث قوافياً تسيرُ بها الرُّكبان أيَّان أضعنوا

رأينا بك الماضين فخراً وعزَّةً وأنت من الآتين أنقى وأفطنُ

((إسماعيل شيا))

الفصل السادس

شعر الصنعة

ازدهرت عند بعض الشعراء الصنعة في الشعر الشعبي في الجبل فزاد الطباق والجناس والبديع والتشبيه وراح الشعراء يتنافسون في الغوص وراء المعاني الصعبة والتعابير المعقدة فظهرت قصائد المخمس المردوف ومردوف المردوف واللزوميات إلى غير ذلك. وسنقدم بعض قصائد نجم العباس ونعمة العاقل كنماذج من هذا الشعر:

أولا

نجم العباس في قصيدة التعارف مع سلطان الأطرش سنة ١٩١٤ عندما قدم من بلدته ملح لزيارة سلطان بالقريا سنة ١٩١٤.

كل الفوارس لحصيدك ترعى به

أبديت من حسن القوافي بدلي	**من لج طامي ليس غرفاً بالدلي[1]**
يا صاح منه أرويت قبل أن بدلي	**عندي قواعد جيت قاعد خط به[2]**
كلوا السواعد عالكواغد خط به	**شبه الرواعد يوم قامت تهطلي[3]**

* * * * *

وابتدا دولاب فني بالفتال	**ما برا جراحي عصايب بالفتال**
هم قلبي لو توزن بالف تل	**ظل راجح من غبوني عالصبا**
كلما جروحي بلفايف عصبا	**شوفها تزداد نز وتدغلي[4]**

* * * * *

---

(١) لج طامي: بحر عميق. الدلي: جمع دلو.

(٢) أن بدلي: يبدل أسنانه.

(٣) الكواغد: الورق.

(٤) النز: سيل الدم الخفيف. تدغلي: تلتهب.

مـن بعـد ذا يـا راكـب اللـي بالعجـل شبـه التريـن اللـي مـدوهج بالعجـل[1]

ملفـاك قـرم اللـي تنـوع بالعجـل ديـوان للخطـار مـا أبطـأ ناصـبا[2]

ناقـل صحيفة مـن أوطـاني ناصـي بـه سـلطان باشـا للـضمايا منهلـي[3]

* * * * *

نـاحر معنـا لمـديحك مـن ملـح حيث شخصك يا صميدع من ملاح[4]

لا تعدني من اللي حديثه مين ما لاح مهرجـاً بـين العـوالم يقـضي بـه[5]

لـو جلـس وسـط المقاعـد يقـضبه ويـصير في سـرد المحـاكي يبـذلي

* * * * *

بـل ترانـي مـن فـروع مـن بـواد عالبعـد بـالزود لشخـصك بـود[6]

أنـت ليثـا هيلعـي محـرج بـواد سـطوتك يـوم الحرايـب ترعبـا[7]

كـل الفـوارس لحـصيدك ترعـى بـه يـا نعـم قسور شـهم كاسـر أجـولي[8]

* * * * *

---

(١) مدوهج: مشدود.

(٢) قرم: بطل. بالعجل: بالعقل. الخطار: الضيوف.

(٣) ناصي: قاصد.

(٤) الملاح: الجيدون.

(٥) مين ما لاح: أياً كان.

(٦) بود: بحب.

(٧) محرج: كامن.

(٨) أجولي: شديد البأس.

كفـــو شـــبلاً أنـــت بـــيرق بجبـــل — مـــشتهر شـــرقاً وغربـــاً بجبـــل[١]

كيـف مـا نـدبت شخـصك يجـي أبـل — كـــان لازم لـــك خـــدامي أطلبـــا[٢]

مـن عـادتي طـرس الطلاحـي أطلـي بـه — وأمـــدح بـــالأجواد غايـــة منـــولي[٣]

* * * * *

أنـــت حيـــد أنـــت شـــيال الحمـــال — أنـــت بـــذلك عـــده نهـــراً وحمـــل[٤]

يـــا غـــضنفرها ج عَ خـــصمو وحمـــل — لـــو تغـــذى ديـــد لبـــوه عاللبـــا[٥]

ســـــلطان رئبـــــال تقـــــدم عاللبـــــا — حـــراً فقــع مــن طــود عــالي ومعتلــي[٦]

* * * * *

بعـــدا ذا ســـطرت نظمـــي بـــالظروف — عطـــر عـــده هيـــل فـــايح بـــالظروف

غــض طرفــك هيــك وافــق بــالظروف — لا تلاحـــظ كـــان قـــاع جنبـــا[٧]

هـــيج فـــؤادي كـــانوا وادي جنبـــا — والقـــول عـــادي بالـــسوادي نتلـــي

* * * * *

---

(١) كفوا: يكفي.

(٢) ندب: رمى. يجي أبل: على الوجه الرابح.

(٣) طرس الطلاحي: أكداس الأوراق.

(٤) الحيد: الجمل القوي. حمل الوادي: فاض على الجوانب.

(٥) غضنفر: شجاع. الديد: الثدي. عاللبا: عالصمغ.

(٦) رئبال: الأسد. الطود: الجبل.

(٧) جنبا: حادَ.

فكـــروا قبـــل أن كتــابي تلفـــون		تـــوَّجني بيـــوت فـــني تلفـــون[1]

زادونـــي صـــوت كـــأني تلفـــون		كـم وكـم شـيخاً جزيتـه مطلبـا[2]

فـــني تـــزاحم شـــبه خيـــل مطلبـــا		لفظـي تلاحـم في حـساب الجملـي[3]

* * * * *

نـــون اسمـــي بـــالتهجي وبالمعـــان		حـط جيمـاً صـب فكـرك بالمعـان[4]

وحـــرف مـــيم ثـــم نخـــتم بالمعـــان		بالـذي دايـم لفـضلوا راجـي بـه[5]

هلـــي علـــى كـــل الخلايـــق راج بـــه		ونـــستغفرو ومـــن لطفـــه نتـــأملي

ثانيا

بعد ثماني سنوات يعود سلطان الأطرش من الأردن بعد ثورة سلطان الأولى سنة ١٩٢٢وقتل الضابط الفرنسي الكسان في الأصلحة هدمت الطائرات دار سلطان الأطرش بالقريا وحمد البربور في أم الرمان. والتجأ الثوار إلى الأردن. وبعد عودتهم في عيد الاستقلال سنة ١٩٢٣ سلم عليه الشاعر بداره في القريا وقال قصيدة طويلة أيضاً اقتطفت منها هذه المقاطع:

---

(١) تلفون: تطوون. تلفون: حتى وصلوا.

(٢) تلفون: هاتف.

(٣) تطلب: تتسابق ركضاً.

(٤) بالمعان: بالتبصر. بالمعان: المعاني.

(٥) بالمعان: بالمعين.

أبـــديت أنظـــم بقـــوا في ال معـــي في بيـوت تطـرب كـل عـارف المعـي[1]

مــا قـــال شـــبلي في قـــصيده والمعـــي عـسراً علـى الـشعار قـاي لـو انقـرا

مـــن حـــد تـــونس للجزائـــر لانقـــرا مـــن كـــل فـــرد لـــوذعي المعـــي[2]

* * * * *

مـن بعـد ذا يـا راكـب اللـي عالمنـا تـــشدي نـــواعير المـــسهي عالمينـــا[3]

فوقـــه غـــلام اللـــي يـــورد علمنـــا لـــــدار القريـــا ســـــريعاً بـــــشرا

بقـــدوم هـــاليبغوا المنايـــا بالـــشرا طـوبى لـك حيثـك قـساور تجمعـي[4]

* * * * *

طـــوبى لـــك يـــا دار قنـــديلك ضـــوى حيدك وثب يا عامري بعد أن ضوى[5]

قالـــت لفـــى هـــداج هـــالمروي الـــضوا مـي سنين الجـدب كالعاصـي جـرى[6]

ســـلطان حـــاتم طـــي مثلـــو مـــا جـــرى يـــوم الوغـــا يـــشبه شـــبيب التبعـــي

* * * * *

ســـلطان ركـــن بلادنـــا قبـــل وبعـــد هجـــر وضـــنى لفؤادنـــا لمـــا بعـــد

مـــن قبـــل دور أجـــدادنا واحكـــوا بعـــد مـــا علمـــوا حـــراً فقـــع مثلـــوا تـــرى[7]

مـــا قـــول أنـــي وحـــدي تـــرى كلـــه تـــرى اسمـــوا عجـــسموا خـــالطوا لمـــا وعـــي

---

(١) المعي: مبدع.

(٢) لوذعي: ذكي.

(٣) عالمينا: على الميناء. المسهي: المرسي.

(٤) قساور: أسود.

(٥) ضوى: برك وعجز.

(٦) هداج: مقدام.

(٧) فقع: برز.

ثالثا

ومن الشعراء الذين خاضوا غمار هذا النوع من الشعر المعقد السيد نعمة العاقل وهذه بعض أبيات من قصيدة يقال أنه عارض فيها الملك عبد اللّه:

يـــا خـــوا ردَ عَ مـــوارد بـــير زمـــزم	دالعـــــات دراع والمجـــــول شـــــفوف
لعنـت أبـوهن كلـهن مـن غـير محـزم	خامـصات وسـاطهن ضـخم الـردوفِ
عيـونهن وحـداقهن خرطـوش دمـدم	يـا عـذاب صـبي طـراد يحـوف [1]
غـصن صـندل صـنع سمهـر حـين يلـزم	مـا يطـي جـيلانهن رجـل زهـوف [2]
معـــصفرات معنمـــات بلـــون عنـــدم	معلمـات صـباعهن سمـح الكفـوف [3]
والجـــزع في جيـــدهن عـــسجد تلملـــم	اشـنب اللـهات علطـا تـن ضـفوف [4]
يـا هزيـع مـن النيـا يومـاً حـر نـشم	مـن خـوار الكـنس مـن خـنس ينـوفي
أصـعد الزفـرات مـن صـدري غطمطـم	هـل دمعـي حتـى عـيني مـا تـشوف
كَ لكـوس خـدودهن في الليـل الأظلـم	نفـــراً مثـــل المهـــا بـــبلاد خـــوف [5]
مزبـــرات نهـــودهن وبطـــون هـــضم	والثنايـــا بـــرق والمـــاطر ظـــروف [6]
صـار كفـي فـوق صـحن الخلـد يلطـم	صحت ويلـي وش جـرى لـي يـا هنوف [7]

(١) خرطوش دمدم: رصاص يعطي سهم ناري في الليل.

(٢) غصن صندل: القوام الجالس. سمهر: صانع الرماح. جيلانهن: صدورهن. رجل زهوف: رجل ضعيف، ساذج.

(٣) معصفرات معنمات: متبرجات. بلون عندم: اللون النهدي.

(٤) الجزع: الخرز. عسجد: الفضة.

(٥) المها: بقر الوحش.

(٦) مزبرات: بارزات. الثنايا: بعض الأسنان. الماطر: الدمع.

(٧) الهنوف: الفتاة الحسناء.

وهذه أبيات من قصيدة ثانية يتغزل فيها ببنات البلد

لـــد هيفـــا بتـــشابيب الـــشروخي	بـــالعمر مـــا جـــاوزت طعـــشر ربيعـــاً[1]
كنهـــا اليعفـــور تنـــدس مـــا تـــدوخي	نـــافراً مـــن طـــور حـــواف مريعـــه
أيطـل أدمـى وجيـدها كنـه كفـوخي	قـــاطر الربـــراب تـــشفي وتريعـــه
لـــو همـــت بالـــسير قبتهـــا جفـــوخي	خطـــو طلخـــم بفدافـــد مـــستريعه
وأزهـــا مـــن زلهـــا داء وكـــوخي	بـــالمجرد ساســـها ســـامي ورفيعـــه
مـــن أصـــم لـــو رمـــت تعلـــم مـــا أوخـــي	مثـــل طلعـــت ورد في علـــق شـــنيعه
لا تمـــاري ولا تبـــالي بالـــسبوخي	مـــسهمه تـــاج الجمـــال مـــن الطبيعـــة
لا عبـــوس ولا عـــزوم ولا لخـــوخي	دابهـــا كـــسب الـــشهامة مـــن صـــنيعه
يـــوم دجـــج بالنواســـل لـــه رضـــوخي	مثـــل طـــه اليذكرونـــه بالفريعـــه

(١) تشابيب الشروخي: ريعان الشباب. لد: انظر. طعشر ربيعا: ما بين العشرة والعشرين.

الفصل السابع

قصائد الاغتراب

قصيدة يا ديرتي هايل السلمان

يا ديرتي يا ديرتي   وداعاً يا حبيبتي

إلى اللقا يا زنبقا   لولا الشقا ما تطول   عنك غيبتي

لولا الشقا با حوالي   ما بفارقك يا زينة

يا دار عنا غالي   يا طيف ساكن فينا

وحياة رب العالي   فراقك ما هو بيدينا

لولا الوزي ودهر الخزي   ما بجتزي من بيئتي

* * * * *

ما بجتزيها بنوبة   لكن حمولي مالت

دنيا الغدر معطوبة   ياما رواسي خانت

من آمنه مغلوبة   وقلال إلهم راقت

ما لها ذمم غير الندم   كثر الألم غيّب   دليل بصيرتي

* * * * *

غاب الرشد من جوره   وكل الصبر ما فادي

كل ما رجيت سروره   يضرم سناها زيادي

كيلي طفح من زوره   هم وغثا ونكادي

لا تعتبي يا مهذبي   صبري سبي ماني نبي   ويش حيلتي؟

ويش حيلتي بقداري   هاللي انقسم لي فيها

أضـــحى قفـــا البحـــاري وديارنــــــــا نخليهــــــــا

مــــع غـــــربتي وجـــــواري نــــــار البعـــــد تكويهــــــا

دق الجـــرس قلـــبي مـــرس كـــوني حـــرس يــا ديرتـــي عَ زغيرتـــــــــي

شرح المفردات:

ما بجتزي: ما بفارق.. بنوبة: أبداً ، مطلقاً.. معطوبة: مكسرة ، مهشمة. رواسي: ثوابت. ـ بصيرتي: رؤيتي. ـ ما فاد: ما نفع. ـ يضرم: يلتهب. طفح: امتلأ كثيراً. ـ زوره: غشها وخدعها. ـ ويش حيلتي: ماذا في يدي. أضحى: أصبح. ـ قفا: خلف، وراء ـ نخليها: نهجرها ـ قلبي مرس: آلمني كثيراً.

علي عبيد في مطلوع الملحمة السلطية "تغنى على الربابة" أو جوفية

عاش الشاعر وبعض رفاقه المجاهدين في عمان والسلط والكرك بضع سنوات غمرهم فيها أهلوها بالعطف والحب فكانوا بين أكارم قومهم حتى كاد ينسيهم ما لاقوه من لطف وأنس جبلهم الذي حرموا رؤيته أكثر من عشر سنوات، وفي هذه القصيدة يصف الشاعر مراحل الثورة ومآسي المنافي وما تعرضوا له من طيب ومن مرارة مترفعاً عن الحقد والشماتة. (مطلوع يغنى على الرباب)

الشتات

يــا الله يــا اللــي عــالم الــسر والغيــب يـــا رب يـــا معبـــود تفـــرج عــــسيره

قلـــبي تقطـــع فـــوق نـــار اللواهيـــب ومثـــل نـــيران الكـــير قـــايم ســـعيره

يـــا رب ويـــا حـــلاّل كـــل المـــصاعيب ويـــا الله تجـــبر للنفـــوس الكـــسيرة

رحنـــا قطـــايع في بـــلاد الأجانيـــب ويامـــا دفنـــا نـــاس في كـــل ديـــرة

ويامـــا رقينـــا فـــوق عـــالي الـــدواليب بـــسيارة مـــا هـــو بهـــين مـــسيره

وتمـــشي ورانـــا قفـــول عـــا فُطَّـــر النيـــب نطـــرب لبـــاب الله لأجـــل الـــذخيرة

ويامــا لقينــا مــن بــه الجــود والطيــب بـــــه الـــــشهامة والمـــــروه الـــــوفيرة

ويامــا حملنــا مــن الــبلا والتعاذيــب لأجـل الكرامـة وحفـظ شـان العـشيرة

نرجــى نحقــق كــل تلــك المطاليــب رغــم المــصاعب والأمــور الخطــيرة

والــــدهر منــــا ماســـكاً بالتلابيـــب الله رحمنـــا بـــالنفوس الكـــبيرة

شرح المفردات:

١ـ فاطر النيب: الذلول الفاطر الذي شق نابه بعد البلوغ.

٢ـ المعازيب: المضيفين.

قصيدة فن من الجزائر

لقاءان مع القاضي المرحوم حسين عريـج:

اللقاء الأول: في قرية شعف النائية ١٩٥٣ كل منا وكيل معلم يعاني شظف وقسوة الحياة.

والثاني: في خميس مليانا بالجزائر سنة ١٩٦٩ معلمان نقاسي من البعد والهجران وهواجس الأفكار فوق روابي السويداء والمجدل ونجران وشعف.

كنا نردد مقطعاً من أغنية محببة من أيام الشباب بل أيام التلمذة.. لكننا لا نعرف غيره. ثم بدأنا بنظم المقاطع التالية حيث كانت هذه القصيدة:

المقطع الأول

بـــدك تقلّـــي لـــيش فيَّـــي معـــتني وأنـــي الـــذي بعتــك قبــل مــا بعــتني

صــار لــي ثمــان عــوام نــسيان الهــوى ذكـــــرتني ذكـــــرتني ذكـــــرتني

المقاطع التالية

ذكـــــرتني عهــــد المــــودة والوفـــا	ذكـــرتني ولا عـــاد لجفـــني الغفـــا
يخطـر ببـالي يـا حـشم عهـد الـصفا	لـــــــوعتني لـــــــوعتني لـــــــوعتني
لـــوعتني وصـــفّيت ضـــحية دلـــع	يكفـي بـدلالك يـا حـشم عقلـي انخلـع
يـا نـور وجهـك كالبـدر يـوم أن طلـع	سوســـحتني سوســـحتني سوســـحتني
سوســـحتني وأنـــت المحبـــة والأمـــل	سـلبت عقلـي ولا عرفـت كيـف العمـل
هوجـاس فكـري مثـل الـوادي لـو حمـل	جننـــــتني جننـــــتني جننـــــتني
جننـــت فكـــري اللـــي تولـــع بالـــسمر	واســقتيتني كــاس المــودة بــس مــر
يــا محتــشم مــن بــاب داري بــس مــر	ذوبـــــــتني ذوبـــــــتني ذوبـــــــتني
ذوبـــتني بأوجـــاع قلـــبي والهـــوى	يـــا زهـــرة فاحـــت عطـــوره بـــالهوى
مــن بعــد مــا عليــتني فــوق الهــوى	مـــــردحتني مـــــردحتني مـــــردحتني

أهازيج قومية من مصر

في أواخـر الخمـسينات بعـد تـأميم قنـاة الـسويس والعـدوان الثلاثـي علـى مـصر وتحقيق الوحدة كانت جامعة دمشق ثكنة قومية عربية تهتز لأي حادث في الوطن العربي وتطرح الشعارات القومية العربية على الساحة العربية والعالمية ـ وقام طلاب جامعة دمشق حوالي ١٢٠٠ طالب وطالبة برحلة إلى مصر متحمسين لشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية الشعارات الوطنية في تلك المرحلة ـ وبدأنا في الباخرة نرتب أهازيج حماسية تتضمن شعاراتنا الوطنية لطرحها على الجماهير والطلاب في مصر فكانت هذه الأهازيج التي دوت آنئذ في أرجاء بور سعيد والقاهرة والاسكندرية مع حماس منقطع النظير لمضمونها القومي والوطني:

أولا

يـــــا ربـــــي ترعـــــى عروبتنـــــا | والوحـــــدة الثوريـــــة وحـــــدتنا

علـــى بـــور ســـعيد ســـفرتنا | نـــروي العـــدا مـــن بارودتنـــا

مـــن قـــبرص جـــروا علينـــا جيـــوش | بـــر وبحـــر يبغـــوا ديرتنـــا

يـــا جـــول جمّـــال غـــرقهم | بـــضرب الطربيـــد عزتنـــا

شـــبعنا الطيـــور لحـــم افرنجـــي | وأسمـــاك البحـــر شـــكرتنا

جنـــبرت غرقـــت بـــألف ضـــابط | وشـــعوب العـــالم دعمتنـــا

ثانيا

وحّـــدناها مـــن القـــاهرة للـــشام | مـــن الـــسويداء للإســـكندرية

ســـلمناها لبلطنـــا الهمـــام | عبـــد الناصـــر رســـول القوميـــة

عالقنـــال ســـجلنا التـــاريخ جديـــد | جـــول جمـــال خطـــو بـــضرب الطربيـــد

بنـــضال العروبـــة ببـــور ســـعيد | حطمنـــا جيـــوش الاســـتعمارية

قـــسماً باســـم الأحـــرار الخمـــسة | والجزائـــر مقـــبرة فرنـــسا

يـــا ديغـــول عالمزرعـــة لا تـــنس | دمرنـــا الحمـــلات المعتديـــة

جوفية ثالثة

يــا رامــي عالـروشـيش ولقـم علــى الفـور	نيراننـــا بالجبهـــة وألهـــب ســـعيرا
مــــدافعنا زلزلـــت الأرض وصـــخور	والميـــغ حامـــت ويلكـــم مـــن هـــديرا
يـــا داخــل الجــولان مـــن غــير دســتور	حنـــا حمـــاة الـــوطن يـــوم الهجـــيرا
هبيـــت ويـــا المعـــادي وياتايـــه الـــشور	ورصاصـــنا بـــالحرب عـــالي الـــوتيرا
وأرواحنـــا للـــوطن نرخـــصها عـــالفور	والمـــيراج بـــسوريا عرفـــت مـــصيرا

شرح المفردات

جول جمّال: ضابط سوري أغرق الباخرة الحربية جنبرت وقت الاعتداء الثلاثي على مصر.

يا داخل الجولان من غير دستور: كناية عن إسرائيل التي احتلت الجولان عنوة.

هبيت: خسئت.. رصاصنا عالي الوتيرة: غزير.

الفصل الثامن

قصائد تُغَنَّى

المقدمة

الأغاني الشعبية في جبل العرب تراث عريق بدأ مع قدوم السكان الحاليين من عدة قرون حيث انتقلوا إليه من لبنان وحلب وبلاد صفد والجزيرة العربية، ونقلوا معهم العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافات ، ومنها الأغنية الشعبية التي ترددت غالباً باللهجة العامية وعلى عدة بحور وأوزان تفوق بحور الشعر الفصيح وأوزانه، وقد شملت جميع مناحي الحياة وأنشطتها. وهي تُؤدّى بأشكال مختلفة بصورة فردية أو جماعية أو مع المجوز أو الشبابة أو الرباب، والكثير منها يثير الحماسة والشجاعة، يُردد في ساحات القتال، وحتى في الأعراس والاحتفالات مع أغاني الغزل والفخر والمواسم، ومن هذه الأغاني:

١ـ**الشروقي**: غناء منفرد يؤديه الشاعر على الرباب مع النوع الآخر المطلوع.

٢ـ**الحداء**: من أغاني العرب القديمة يغنيه الفرسان وهم على صهوات الجياد أو فوق الهجن أو الذلول ويعرف عندئذٍ باسم الهجينة مثل:

يا برق ياللي على صلخد تخيلي　　　لعديل الروح وديلي سلامي

مية ليلة ومثلها تسعين ليلة　　　لا رسول ولا سلام ولا كلامي

أو:

والعدو خش الحما ثم استباحا　　　وينكم ياللي تريدون الزعامة

٣ـ**الجوفية**: هذا لون من غناء الجزيرة العربية ومن منطقة الجوف وأكثر الجوفيات حماسية تهيئ الناس للحرب والقتال وهي متعددة الألحان والأوزان أكثرها ما ورد على بحر الرجز ـ أرجوزة قصيرة وسريعة مثل:

راكـب اللـي لـو مـشت مـا تنـدرك وتحـث حالهـا ولا تحتـاج تـسوقها

موردهـا عرمـان وعجـال الـبرك خيالهـا سـبع المزمجـر فوقهـا

ويمكن لكثير من قصائد الهجينة أن تردد سريعة على شكل جوفية مثل:

هـي ويـاللي راكـبين علـى الـسلايل فـوق ضـمّر يـمٍّ طربـا نحرينـا

٤ـ**قصيدة الفن**: وقد تكون حربية "حربجية" أو تثير العاطفة والحب ـ على خدها وعينها . مثل:

يـا طارشـاً وادهـج علـى المـصباح سـلّم علـى اللـي بالهـدب ذبّـاح

٥ـ**السحجة "الدحيو"**: غالباً ما تبدأ بعد جوفية حماسية يرتاح فيها المرددون ليتمتعوا بمشاهدة الرقص الثنائي الذي يمثل المبارزة بالسيف والترس إن وجدت أو بجانب الردن "الثوب" أو الكوفية أو بعصاة تمثل السيف والرمح.

والرقص الثنائي جميل ومشوق يمثل مبارزة الفرسان في ميدان المبارزة وهذا النوع يبدأ بلازمة من بيت واحد من الشعر يرددها الأكثرية باستمرار بعد كل مقطع يغنيه الشاعر بصوت مرتفع: مثال

هلا هلا بك يا شاعر يا شوق البنت النشمية اللازمة

أما الشاعر فيتابع:

عـالكفر فتنـا بحـدادِ والمـوزر فوقينـا ينـادي

وأن كـان تريـدوا الـسدادِ حيـاكم الله يـا عمـامي

٦ـ**المطلوع**: غناء فردي على الرباب وهو قديم وواسع الانتشار مثل:

الـدهر والأيـام لـي مـا سـاعدوا كـانوا قـريبين المـدى وتباعـدوا

عاصي حماه ونهر الفرا ونيل الصعيد مـا طفـوا لنـار قلـبي وحيـدوا

٧ـ العتابا: بيت العتابا أربع مقاطع . بيتان من الشعر لكل مقطع من المقاطع الثلاثة الأولى نفس القافية باللفظ لكنها تختلف بالمعنى أما المقطع الرابع فتختلف قافيته حسب رغبة الناظم مثل:

يــا أهــل نــسَّم الغربــي مــن قــبلكم   ومــا ظــني بعــد ســاعة منقــابلكم

هنــو مــن شــال بايــدو منقــب الكــم   وحظــي فــيكم بعــد ذاك الجفــا

٨ـ أغاني الهولية: تعقد حلقة الهولية من الشباب والصبايا المتكاتفين على شكل دائرة يشدون على أكتاف بعضهم بالأيدي وتتشابك الأذرع مع الأكتاف مع التحرك بدبكة منظمة وخطوات موزونة أثناء الدوران للحلقة بمجموعها.

الغناء جماعي: مجموعة صغيرة تغني وكبيرة تردد أي بقية أفراد الحلقة تردد نفس المقطع وأغاني الهولية متنوعة منها:

آـ دلعونا: على دلعونا على دلعوناراحوا الحبايب ما ودعونا

راحوا الحبايب والقلب ذايبدمعي سكايب عاسمر اللونا

ب ـ ميجانا: ميجانا يا ميجانا يا ميجاناليش نومك للضحى ريتو هنا

جـ ـ الهوارة: الهوارة فرقة جهنمية شديدة البأس بالمعارك تشبه فرقة النجدة استخدمها إبراهيم باشا المصري في الحرب ضد الأتراك وفي اللجاه لإنقاذ مجموعات جيشه المحاصرة من قبل الأعداء مثل:

عــــا الهوارة الهــــوارة   الحــرب خفــة وشــطارة

د ـ ألحان أخرى متفرقة مثل:

يـا أم التنـورة الـصفرا صـباغ الليمـون   حـاجي غنجـي ودلاعـة وتـذبيل عيـون

٩ـ أغـاني المواسـم: مثل أغاني الحراث في الحقل وأغاني "الدراس" على النورج وأغاني الحصاد.

الجوفيات

أهازيج وطنية سريعة

١ـ بالروح نفدي وطنا: مثلث مردوف

بـالروح نفـدي وطنـا	لـو صاح صـوت المنـادي	بـالروح نفـدي وطنـا
حريبنـا مـا تهنـا	ولا ذاق طعـم الـسهاد	حريبنـا مـا تهنـا
بـشرعنا المـوت سـنّة	يـا مرحبـا بالـشهادي	بـشرعنا المـوت سـنّة
والقـدس مـا تـروح منـا	وفينـا صـبيٍّ ينـادي	والقـدس مـا تـروح منـا
جـولان صـارت مجنّـا	لأهـل البغـي والفـساد	جـولان صـارت مجنّـا
كـم روح فيهـا دفنـا	لبـست حريمـه الـسوادِ	كـم روحٍ فيهـا دفنـا
بارودنـا مـا يخنـا	مـوزير وضـربوا صـمادِ	بارودنـا مـا يخنـا
حريبنـا[1] الـسيف حنـا	يـوم الحـرب والجهـادِ	حريبنـا الـسيف حنـا

٢ـ ريّان وعالي جبلنا: جوفية على نفس اللحن السابق

ريّـان وعـالي جبلنـا	قمـة ذراه الـسويدا	ريّـان وعـالي جبلنـا
عـز الأمانـة أهلنـا	مجـد العروبـة نعيـدا	عـز الأمانـة أهلنـا
بزنودنـا وبعملنـا	صـرحك سـوريا نـشيدا	بزنودنـا وبعملنـا
سل ميشو يوم أن قابلنا	عالمزرعـة كيـف نكيـدا	سل ميشو يوم أن قابلنا
نعتقـد محتـوم أجلنـا	وربـك يكـرم شـهيدا	نعتقـد محتـوم أجلنـا
واللـي يفـرق شملنـا	بالـسيف نقطـع وريـدا	واللـي يفـرق شملنـا

---

(١) حريبنا: المحارب منا.

٣ـ عالمزرعة يا شباب

قمت ابتدي بالخطابِ	عالحرب قايـ في بناها	قمت ابتدي بالخطاب
بيّن حقوق الحرابِ	واللي علينا أداها	بيّن حقوق الحرابِ
بالكفر من أول باب	والحملة جاها بلاها	بالكفر من أول باب
بارودها والطوابِ	بالعون علينا هداها	بارودها والطوابِ
عالمزرعة ويا شبابِ	منهوي منكم نساها	عالمزرعة ويا شبابِ
وفرنسا صارت خرابِ	ملعون أبو اللي بناها	وفرنسا صارت خرابِ
اثنعشر ألف بالحسابِ	ولا كاتب منهم حكاها	اثنعشر ألف بالحسابِ
سوريا أم العروبة	سلطان بسيفوا حماها	سوريا أم العروبة
نختمها برب الأرباب	هالمعتلي بسماها	نختمها برب الأرباب
ويفكنا من العذاب	والعدو يقصر مداها	ويفكنا من العذاب

٤ـ جوفية شاري الموزر

يا شاري الموزر ما هو غالي	سواري للزين مطلوبة
واشري بارودة من الطوال	حسّها يا دقة النوبة
يوم المعامع والقتال	صنعة الألمان مرغوبة
عالمزرعة والدم سالِ	صار اللقا وحميت الشوبة
يا عيال عمّي هاالأبطالِ	حريبنا ذايق اللوبه[1]
سلطان اللي ربّى الهوال	يخيف العدا لو شكل ثوبه
بالكفر لما انتخى وصال	والمعادي أعلن التوبه

كـــم صـــــبيٍّ دَمَّـــــهُ ســـــال　　بمفـــــرق الكــــوع مــــــضروبه

وكـــم هنـــوفٍ[٢] تنـــده يـــا خـــالي　　ودمعهــــا عالخــــدِّ مــــسكوبه

ربعنــــا يــــا ذيــــاب العيــــالِ　　بموقــــع العــــز بحروبــــه

٥ـ جوفية تحلالي حمرا

تحلالـي حمـرا تحـت نـاثر الـشوشي　　يـا منـوة اللـي ليبغـون الطـراد[٣]

كـرب سـروج اللـي عالخيـل منقـوش　　ريـش النعـام وزاهيـات الـشدادِ

لحقـت الغلمـان والخيـل عـالروش　　تـسمع رزيـزه مثـل سـوق الحـدادِ[٤]

يـا صـربة اللـي دومـاً تكـسب الهوشـي　　واليـا انتخـت بـالحرب تـشفي المـرادِ[٥]

عالمزرعـة يامـا حطمنـا الجيـوشِ　　بـالكفر فرنـسا لبـست ثـوب الحـدادِ

٦ـ جوفية رزم المدافع

رزم المــــدافع بــــأرض هــــوشِ　　والــــدم ســــايل تقــــول نبعــــه

صــــربة عبيــــد المــــداغيش　　يــــا عيــــال عمِّــــي حلــــو فزعــــه[٦]

بمعلقــــات مــــع الجــــيش　　والمــــوزر اللــــي حلــــو فقعــــه[٧]

والعــــجِّ قاطــــب فــــوق الــــشوش　　جمــــع الخلايــــق تقــــول صــــرعى

كــــل الحمايــــل معــــاطيش[٨]　　يــــا زيــــد وقايــــد والــــو سمعــــه

شرح المفردات:

١. ذايق اللوبة: فقد صوابه. ٢. الهنوف: الفتاة العذراء.٣. ناثر الشوشي: منفوش الشعر. ٤. الروشة: الصخرة.٥. الهوشي: المعركة. ٦. المداغيش: الهاجمون في الليل، الفزعة: هنا الهجوم. ٧. المعلقات: البنادق، الموزر: بنادق الرصاص ٨. معاطيش: متعطشة للقتال.

٧ـ جوفية حرة أصيلة

حـــرة أصــيلة وربعــت بـــأرض حـــوران	خيالهـــا مثـــل مـــا ودويـــديرا[١]
يـــا رســل وصــل خــبر للباشــا ســلطان	وأهـــل الجبـــل كبيرهـــا مـــع صـــغيرا
زينـــوا الجبـــل وأشــعلوا فيـــه الـــنيران	نـــواف غزالـــة أخـــذ حـــق العـــشيرة
ظالمنـــا مـــا يتهنّـــا لـــو طـــال الزمـــان	نجيلـــو بهمـــه مهمـــا أبعـــد مـــسيرا
حنـــا مـــا نعيـــل ولا نعتـــدي عَ إنـــسان	واللـــي يعتـــدي علينـــا بـــئس المـــصيرا[٢]
يـــا داخـــل الجـــولان مـــن غـــير اســـتئذان	والميـــغ حامـــت ويلكّـــم مـــن هـــديرا

٨ـ جوفية دار العدو

يـــا ربـــي ويـــا رحمـــن ويـــا للـــي هادينـــا	تغفـــر لنـــا يـــا خـــالقي يـــوم الحـــساب
يـــا صـــربة الفرســـان يـــوم أن لفينـــا	علــــى دار العــــدو نــــدعيها خـــــراب
تـــشهد لنـــا الأعـــادي يـــوم أن مـــشينا	نلكـد علـى البـارود والمـوت مـا انهـاب[٣]
يامـــا علـــى قـــب الـــسلايل حـــدينا	وبعتمـات الليـالي مـا نحـسب حساب[٤]

شرح المفردات:

١. ودُّو: مثل مايريد. ٢. بئس المصيرا: مصيره بائس.٣. نلكد: نهجم . ٤. قب السلايل: قفز الخيول.

٩ـ هجينة "السلايل" للسيد جاد الله سلام

تغنى بصوت مرتفع كأغاني الفرسان أو الخيالة كما تغنى كجوفية أرجوزة سريعة:

هيــه يــاللي راكــبين علــى الــسلايل	فــوق ضــمَّر يــمٍّ طربــا ناحرينــا
ســلموا عَ ربعنــا وقولــوا لهايــل	بالــسويدا ثارنــا حنــا خــذينا[1]
أمــس أبــو صــياح دنّــى للرحايــل	ســال دمــو خــالط أســواق المدينــة
ربعنــا واليــا اعتلــوا فــوق الأصــايل	الأرض طـول وعـرض رجـت لـو مـشينا
واليمــاني ذا خرينــا لكــل عايــل	مــن بغــا لحربنــا نقطــع يمينــا
ضــيفنا نقريــه لحــم الــضان حايــل	نــشبع الجوعــان لــو شــح الــسنينا[2]
والحميــــة والمــــروءة والمراجــــل	كارنــا مــن ديــدنا قبــل ان لبينــا[3]
والرفــــق كبــــه إذا وده جمايــــل	ويـش فـضل يـسراك لـو عانـت يمينـا[4]

شرح المفردات:

١. هايل: ابن عم الشاعر. ٢. نقريه: نطعمه. ٣. كارنا: عاداتنا، من ديدنا قبل أن لبينا: قبل أن نرضع من بز الأم. ٤. الرفق كبه: الصحبة أرميها.

١٠ ـ جوفية المزرعة للسيد جاد الله سلام

تردد كأغنية فرسان طويلة أيضاً

يـــــا الله نطلبــــــك الـــــستر	يــــــوم أن فتـــــــل دولابهـــــــا[١]
شـــــــرابة الـــــــدم الحمــــــر	والـــــذل مــــا نرضــــى بهــــا
جـــــرد علينـــــا مـــــن البحــــر	عــــــــساكراً وطوابهــــــــا[٢]
يــــوم انتـــصب ســـوق العــــصر	والــــــسوم عنــــــد رقابهـــــا[٣]
عــــــاف المـــــدافع والـــــذخر	ومــــــــصفحات جابهــــــا[٤]
عـــــساكراً مثــــل التجـــــر[٥]	بــــــني معــــــروف ذيابهــــــا
وبلادنـــــا مـــــا هـــــي قفـــــر	بالـــــدم نــــروي ترابهـــــا[٦]
عاداتنـــــا ذبــــــح الـــــوزر	والمرجلـــــة نغـــــوى بهـــــا[٧]
عينيـــــك يـــــاللي مـــــا حـــــضر	حنـــــا كفينـــــا غيابهـــــا[٨]
يـــــا بنـــــت يـــــا عـــــين الـــــصقر	ريــــــح النفـــــل بجيابهــــــا
لا تأخــــــذين المـــــا صـــــبر	يــــوم الخـــوي ينخـــى بهـــا[٩]
وخــــــذين الفـــــارس ســـــبع الـــــبر	والمرجلـــــة عيَّـــــا بهـــــا[١٠]

١ ـ دولابها: لما انقلب الزمان. ٢ـ طوابها: مدافعها. ٣ ـ رقابها: القتال بساحة المعركة.

٤ ـ عاف: ترك. ٥- التجر: قطيع الخراف المجلوب للسوق للبيع. ٦ ـ قفر: تجربة. ٧ ـ نغوى بها: نعتز بها. ٨ ـ عينيك: إكراماً لعيونك. ٩ ـ الماصير: الذي هرب بالشدة. ١٠ ـ عيًّا بها: كان قدها.

يلاحظ التشابه في كثير من الأبيات مع قصيدة صالح عمار "عرمان سالت عالكفر" ويظن أكثر الشعراء أن صالح عمار أخذ منها الكثير من المقاطع وحتى الأبيات بكاملها أحياناً. لأن هذه القصيدة أقدم.

١٠ ـ هجينة بصر الحرير ـ حداء فرسان طويلة أيضا

جاد الله سلام ـ أثر معركة المزرعة ـ

مـــن الـــسجن لبـــصر الحريـــر	**والخيـــــل تاطـــــا بالـــــدّما**
أهـــــل المــــدافع والـــــنفير	**للحــــــشر ظلـــــت نايمـــــا**
واللـــــي ذبـــح واللـــي أســـير	**واللـــــي شـــــرد هزايمـــــا**
يــــا ذيـــب والحـــق للعـــشا	**طيـــــور المنايـــــا حايمـــــا**
بـــــني معــــروف يـــوم اللقـــا	**تجـــــــــدعت عمايمـــــــــا**[1]
ســـــلطان باشـــا يـــا شـــوير	**عـــــسى ســـــعودك دايمـــــا**

١١ـ هجيني طويلة: يا راكبين الخيل

يـــا لابـــتي يـــا راكـــبين الخيـــل	**يـــا منحـــرين أم العـــلا حـــوران**
وأســـري علـــيهم مـــن طلـــوع ســـهيل	**خلـــي مـــصابيح الجيـــوش متـــان**[2]
يــــا فرنــــسا والله مــــا نطيــــع	**وانهـــــوش عنـــــد ديارنـــــا**[3]
نــــسقي العــــدا ســــم النقيــــع	**ذبـــــح العـــــساكر كارنـــــا**

شرح المفردات:

١ ـ تجدعت عمايما: تطعجت عمائمهم. ٢ ـ متان: قرية في جنوب الجبل. ٣ ـ نوش: نحارب . ٤ ـ الدوِّ: الخلاء، البادية. ٥ ـ يهبل: يجنن. ٦ ـ تشرح البال: تسر الخاطر. ٧ ـ أبو طلال: سلطان الأطرش.

١٢ ـ جوفية: تقطع الدو أرجوزة قصيرة سريعة

راكـب اللـي تقطـع الـدوِّ مندوبـه		شبه الظبي بالخيل وطيلع غزالي[٤]

مـا ضـرها النـور ولا حـرة الـشوبه		مرباعهـا منبـت الريـف وأنفـالي

وشـدادها مـن سـوق الهنـد مجلوبـه		ومرصـع بالـذهب يهبـل هبـال[٥]

ريِّـض وخـذلي سـلامي بمكتوبـة		ومـسطر بطلحيـة تـشرح البـال[٦]

يـا بـو طـلال يـا نـار الحـرب مـشبوبه		واسعرت من كثر وجدي على الغالِ[٧]

١٣ ـ قصيدة القهوة تغنى على الرباب

يـا قهـوة نرشـف بهـا الـبن والهيـل		سَـمَارها مـن خـدٍّ أمِّ الجـديلا

سـوادها محبـوك مـن جـانح الليـل		عـشرة معاهـا للنـشاما طـويلا

يـوم أن تجـي بـالراس تبعـث بـه الحيـل		همـوم يومـك مـن عروقـك تـشيله

فتياننـا عـشاقه المـوت عالخيـل		مـن قبـل عـشقهم للعيـون الكحيلـة

١٤ ـ يا لطيف قصيدة فن: علي عبيد يشكو من عمل الفرنسيين

يـا لطيـف ويـا لطيـف كتفـوا العـالم تكتيـف		حطوا الابن قبال بيو والحرمة صارت بتخيف

حطـوا الابـن قبـال بيـو والوقـت تغيّـر زيـو		والخـي يقاتـل خيـو مـن الدعايـة والتـشويف

مـن الدعايـة والتـشويق صـار العـرب ألـف فريـق		يـا غـايٍ تمامـك فيـق أخـذوا العجنـة وخلـوا

أخـذوا العجنـة والخبـاز بـشهادة حنـا خبـاز		صـار الغـني والمعتـاز ينتـف بحـالو تنتيـف[١]

ينتـف حـالو مـن العـازي بـدلوا الجـوهر بقـزازي		لمّوا الليرة والغـازي وعملـوا بـدلهم بورتـاتيف[٢]

عمـال نحكـي حقـايق للـي وعيـان ورايـق		واللي بعدو مش فايق مخو محجر يا لطيف

١٥ ـ يا ستّار: لعلي عبيد

يا ستّار ويا ستّار نهر العاصي شح وغار الله يعينك يا فلاح لا في موني ولا في بذار

الله يعينك يا فلاح ساعة وحدة ما بترتاح ومهما ضج ومهما صاح بدو يدفع للأُمَار[٣]

بين الكاتب والحاسب ومعاشات الأجانب ومن كثرة الضرايب الذهب ما عاد لو أثار

أجور رجال الغربيين باسم الرشد والتمدين اللي ضعيف صار سمين وهذا الوطن عدو طار

بين الخاين والجاسوس كثر البلا وعم السوس الوطني منفي ومحبوس يتعامل مثل الكسار

شرح المفردات:

١ ـ حنا خباز: صحفي.

٢ ـ بورتاتيف: عملة مزيفة.

٣ ـ الأُمّار: الآمرون.

من قصائد الفن الغزلية "على خدها وعينها"

قصائد الهولية

١ ـ قصيدة التنورة الصفرة (هولية)

يـا أم التنـورة الـصفرة صباغ الليمـون — حـاجي غـنج ودلاعـة وتـذبيل عيـون

حــاجي غــنج ودلاعــة يــا أم الــساعة — إن زعلـتي ربـع ساعة كهـربتي الكـون

إن زعلـــتي ربـــع تكّـــي يـــا أم الـــشكي — عنــك مــا فهــش فكــي يــا أم العيــون

عنــك مــا فهــش فكــي يــا أم الكــردان — عخـــدك ورد الجـــوري فـــتّح طيبـــان

سنانك سبحان الخـالق لولـو ومرجـان — العابـد سـاح بجمالـك ضـيّع هـالكون

٢ ـ قصيدة حبيت الأشقر

الشاعر صالح عرابي يتغزل

(مقطع واحد من القصيدة)

حبيـــت الأشـــقر حبيـــت — مــا عرفــت كيــف ابتليــت

ضـــحكة وغمـــزة وتطليعـــة — بعـــت الـــدنيا واشـــتريت

بعـــت الـــدنيا كرمالـــك — ولا عـــشقت غـــيرك إنـــسان

بهــــا الـــــدنيا لحالـــــك — مثلـــك مـــا جـــاب الزمـــان

عرنوقـــــه بـــــين جيالـــــك — خـــصرك مثـــل عـــود الـــزان

مـــــا شـــــفت عَ منوالـــــك — شـــفافك يـــا رق الفنجـــان

يـــا شـــقرا الوقفـــه قبالـــك — بـــالعمر لحظـــة تمنيـــت

٣ ـ قصيدة الشهد المنزل

القصيدة الغزلية المفقودة لشبلي الأطرش

الحـشم مـن ريقـو سـقاني شـهد المنـزل	قـب اللثمـي وفرجـاني شـربكني وفـل
قـب اللثمـة وفرجـاني شـربكني وراح	ركـز بالقلـب علّـة نعّـضْ الجـراح
يـا عـيني بـدمعك هلَـي وزيـدي النـواح	عَ الأرخـت عـالكتفين شـعرها المنحـل
أرخـت شـعرها عَ أكتافـا تمـشي وتميـل	جينـا نعـدد أوصـافا مـا الهـا مثيـل
القبلـه مـن روس شـفافا تـشفي العليـل	كـل مـن قـشعها وشـافا ظهـر ومنحـل
قامتهـا عـود رديـني وخـدها الميـاس	نهـوده فقـع الرمّـان فـضه روبـاص
شـفافه حـرف الفنجـان وعيـون نعـاس	بتأخـذ عقـل العزيـان لمـا بتطـل
لمـا بتحكـي منطقهـا مناغـاة الـدر	ولمـا بتمـشي ترافقهـا غـزلان الـبر
لمـا بتمـشي وتتـبختر الكـل بينـسر	أن شاء الله الحلم بيتفسر واحنا المنال

الفهرس